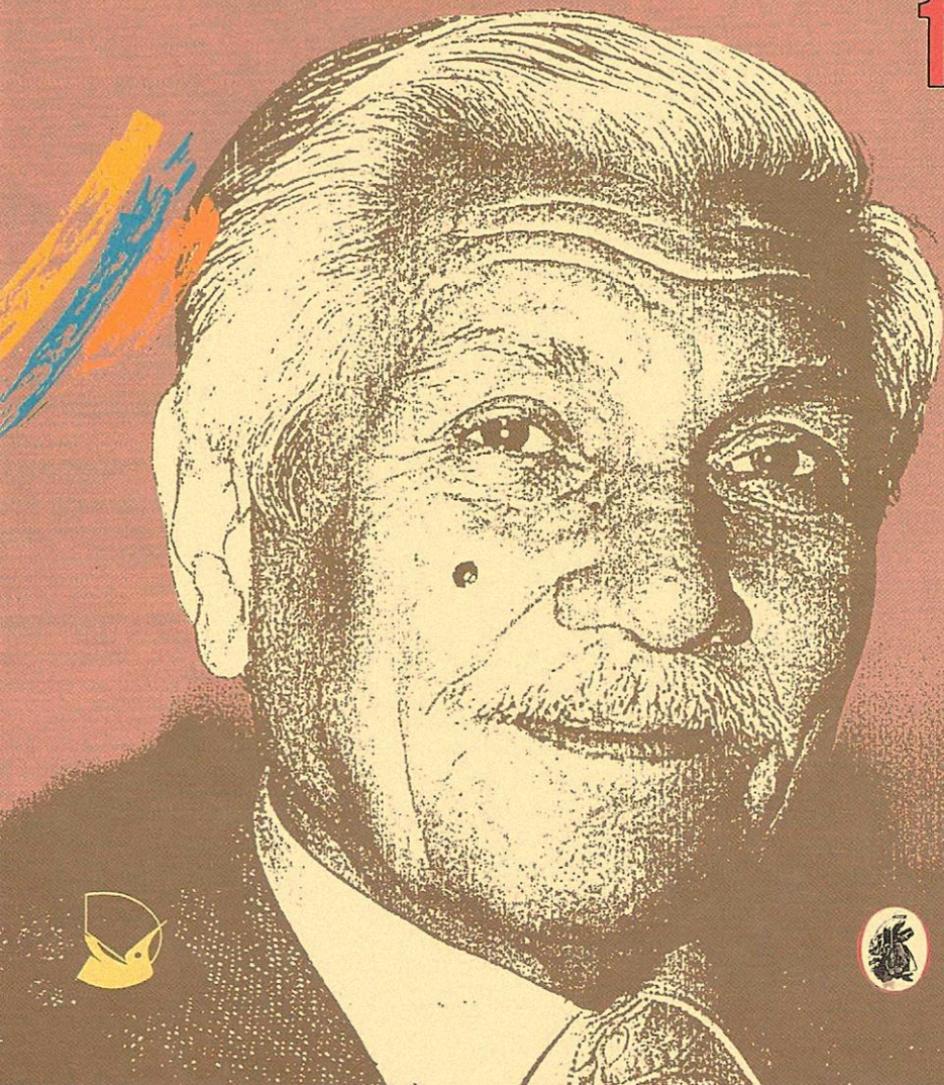


عبد الوهَّاب البياتي

الأعمال الشعرية

1



عبد الوهاب البياتي
الأعمال الشعرية

جميع الحقوق محفوظة
طبعة منقحة ومزودة

1995

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، شارع برلين

بناية برج الكارلنتون

ت: 807900/1 ص.ج.: 11-5460

تلكس: LE/DIRKAY 40067 برفيماً: موكيالي



دار الفارسي للنشر والتوزيع

عمان، الشميساني، شارع عبد الحميد ثومان

عمارة بئرا سنتر، فوق (مطعم بيتزاهايت)

ت: 605432 فاكس: 685501

ص.ج.: 9157 عمان 11191



عبدالوهاب البياتي

الأعمال الشعرية

1



ملائكة وشياطين

كطلاسـم الكهـمان ألـواني
وعرائـس الغابـات ألـحاني
ألـبستـها من زهـر أوديتـي
ثوباً ، ومن أوراق بـستاني
وغمستـها في النـبع عـارية
وغسلتـها في دمـعي القـاني
ورفعتـها عقداً لفاتنتـي
حباتـه أبيـات ديـواني

* * *

حباتـه شعـر يضيء على
غابـاتها وينير وديـاني
ويدق باب الحب مرتعشاً
كالـحلم في أجفـان ولهـان
ويهـزُّ في أعـماقه صوراً
براقـة كـبريق ألـواني
حتـى إذا ما النـوم أسـلمه
لذراع من يهوى تناساني

* * *

أيلوذ في أدراج مكتبه

شعري وتُنسى فيه أشجاني
وهناؤه من نار عاطفتي
شفتاي تغزله وأحزاني
وحبيبه من نسج أخيلتي
أبدعته ولهيب حرماني ؟
تلك الليالي السود شاهدة
عني ويشهد شهد أجفاني

* * *

يا قارئ - من لست أعرفه
قف وقفه السكير في حاني
إن كنت ممن لم يذوق ثمر الـ
فردوس من أنياب ثعبان
فاطرحه من كفيك معتصماً
باسم الذي أودى بإيماني
إني أخاف عليك من حلم
أمواجه تبكي بشطّاني

* * *

إني أخاف عليك من نزق
يغري ملائكتي بشيطانتي
الجنة الخضراء في دمه
وجهنم الحمراء سيان
أوتاره أهداب آلهة

وجناحه أشواق إنسان
في القاع تصفعه الرياح فلا
يدري من المصفوع والجاني

* * *

يا قارئ قف خاشعاً فعلى
أوراقه إشراق وجدان
إشراق أغوار ملثمة
بطلاسم ورموز كهان
واقراً وراء سطوره عبيراً
منها يطل عليك تحناني
وعيون شيطان مدامعه
تغري ملائكتي بعصيانني

في مقابر الربيع

لا شيء تحت الشمس ، حتى السنا
غررَ - يا بؤس الليالي - بنا
لا شيء حتى ذكريات الصبا
عاد بها الشوق فماتت هنا
حتى التي كانت إلى قلبها
تضمننا إن ضاق صدر الدنى
طار بها الحقد إلى عالم
آفاقه أمست قبوراً لنا
يا موت ؟ يا صحراء ؟ يا صخرة
في ظلها جفت زهور المنى ؟
إن هبط الفجر غداً لن ترى
إلا قبور الحب في المنحنى
ودوحة سوداء معروقة
تصيح من أعماقها « ليتنا
لم نعرف النور ولم تبترد
به عصافير الربى قبلنا »
فليت هذا الليل لا ينجلي
حتى نواري في الشرى حيناً
حياً ؟ وما أوحش هذا الهوى
إن جهلت حسناؤه من أنا ؟

كديمة مجهولة أمطرت
في جنة مجهولة موهنا
حتى إذا ما الريح هبت ضحى
طيّرت الأوراق والسوسنا
فعدت الجنة مهجورة
قاحلة إلا بقايا جنى
إلا بقايا حلم كاذب
غرر- يا بؤس الليالي - بنا

أغنية زورق

أيها الزورق ! يا توأم نفسي
طال مسراك وراء الظلمات
فمتى يوماً على الشاطئ ترسي
وتغني للمروج الضاحكات !
أنا من خمرتها أترعت كأسي
وتغربت عن الدنيا بحسي
وعلى ينبوعها اشتقت الممات
فلمن تحمل هذي القبلات ؟

* * *

أبدأ تضرب في جوف الليالي
طلباً للقوت إثر العاصفة
وأمانيك بحار من « لالي »
بدم باعوك منها الزائفة
ومجاديفك غرقى في الرمال
تسأل الأمواج عن أفق المحال
ألقطعان المراعي الخائفة
تطلب القوت وراء العاصفة ؟

* * *

غذك الغامض إيمان كشكي
وانتظار سئمت منه النجوم
أعلى مافات ، يا زورق ، تبكي
أم لأطياف على الأفق تحوم ؟
أنا للآتي وللمجهول ضحكي
ولماضيّ ولالأطلال شوكي
فلمن تحمل أسرار النجوم
ألأطياف على الأفق تحوم ؟

* * *

أنا في اللجة أغرقت شراعي
حينما أدركه الريح البليد
وعلى الشاطئ أرقصت الأفاعي
وتجرعت من السم المبيد
وعلى الأشواك مزقت قناعي
وحملت الحب ميتاً في ذراعي
وبه طوفت في الأفق البعيد
فلمن تحمل أحزان العبيد ؟

* * *

أيها الزورق يا توأم نفسي
طال مسراك وراء الظلمات
فمتى يوماً على الشاطئ ترسي
وتغني للمروج الضاحكات ؟

بقايا لهيب

يا بقايا اللهب في أعماقي
ثورة اليأس أطفأت أشواقي
وثلوج الحرمان ذابت بروحي
وجرت في دمي نيش سواق
وخيالاتي التي ألهبتهني
في صباي المجنون شدت وثاقي
في المهاري التي يغور ويظفو
فوق أثابها شرع انطلاقي
وصباحي الوهاج في الأفق يخبو
عطره في مقابر الإشراق
ظلمة فوق ظلمة وقنوط
وانطواء على الرماد الباقي
وانتظار يوحي بما لست أدري
ولقاء يوحي بما في الفراق
أهباب المجهول وهو رماد
أطفأته الثلوج في أعماقي؟
وقبور، في جنة الحب كانت
ملتقى للربيع والعشاق؟

* * *

يا بقايا اللهب! عاد ربيعي
فاستفيقي وأيقظي أعراقي

ذوّبي هذه الثلوج وطوفي
كالفرّاش المحموم في آفاقي
واسكبي في فم الصباح بقايا
هذه الخمر واسكبي للساقبي
وصبّاي المجنون عودي إليه
فهو ما زال دمعة في المآقي
والهوى والربيع عادا فعودي
بسمات في خضرة الأوراق

* * *

أنا روح أقوى من الموت تنزرو
في دمي لهفة العصور العتاق
لهفة الموت والحياة ودنيا
من جموح ومن هوى خلاق
وأساطير عالم كاد يخبو
في رماد القلوب والأحداق

* * *

يا بقايا اللهب في أعماقي
مزّقي .. مزّقي شرّاع انطلاقي
أنا روح أقوى من الحب تزكو
بدمائي معابد الأشواق
ومن اليأس والرجاء فعودي
أو تواري! إنني على اليأس باق

أكاد أموت

... وحببي الوضيء كورد الربيع
تهالك شوقاً على دربها
إذا آمن الحب بالعاشقين
فإني سأكفر في حبها
وأكفر بالورد والزارعين
وأشرب دمعي على نخبها

* * *

أكاد أذوب .. أكاد أموت
على رفة الخيط من ثوبها!

* * *

إذا ابتسمت قلت هذي السماء
أراها تجول على هدبها
وإن أطرقت فهي سر ينوح
ويشكو إلى الله ممّا بها
فأنثر والدمع في مقلتي
زهوري على قدمي ربّها

* * *

ومن عجبي والهوى قاتلي

حنوت على السهم في قلبها

* * *

... وحي الوضيء كخمر الربيع
يعربد نشوان في كوبها
أكاد لفرط اشتياقي لها
أذوب اشتياقاً وأخبو بها
وأحرق عمري بها مؤمناً
وأكفر بالحب في قربها
أكاد أذوب أكاد أموت
على رفة الخيط من ثوبها

الأخيلة الملوثة

قلبي الحزين عرفت ما فيه
ذكرى توشوش في صحاريه
تعبي كأخيلة... ملوثة
مبتورة بخيال... معتوه
فالأمنيات بلجّه ارتجفت
سوداء تسأل ما لياليه
والوهم في أعماقه ابتسمت
عيناه عن صوت يناديه
إشرب فإن الفجر يعقبه
ليل ستظماً في دجاجيه
وتعيش بالذكرى بلا قدح
تجلو صدك على حفافيه
وتلوذ بالكتمان إن عبثت
كفي بجرح كنت تخفيه

* * *

قلبي الحزين عرفت ما فيه
الحب مات ولم تنزل فيه
ذكرى توشوش في صحاريه

وتهيم باكية تناديه
إشرب فإن الفجر يعقبه
ليل ستظماً في دجاجيه

ما أبعد الماضي

ما أبعد الماضي وما
فكل ما أوحته لي
أحرقه الماضي ولم
تسأل عنه الريح
وتلتقي به فلا
إن قلت يا نفس اهديني
وأمعنت في صمتها
من صمتها من لوعتي
تقول مت من ظمأ
كان الهوى قبراً لنا
يا أمس ! يا تابوتها
هذي أزهير الهوى
عبيرها جف على
وهذه رسائل
تريد أن أرجعها
وذاك منديل عفت
دموعها لما تنزل
وهذه أغنية
تنشدها في ألم

أوحش نفسي المتعبه
من نعمات مطربه
تنزل له مرتقبه
والعوالم المحجَّبه
تعرفه لتندبه
بكت بكاء المذنبه
وكلمتني معجبه
من شفتي المقطَّبه
ونح على من ألهبه
فيه دفناً الموهبه
أما منحناك الهبه
ذابله معطَّبه
صورتها المحجَّبه
بخطها مضطربه
لها . . . إلى المعذبه
رسومه المخضبه
في طيه ملتهبه
مهموسه مقتضبه
قيثارتي المعذبه

* * *

يا أمس ! يا تابوتها أما منحناك الهبه ؟
كان الهوى قبراً لنا فيه دفنا الموهبه

* * *

عادت ولكن للثرى عادت كنفسي المتعبه
تبحث عن نار لها بها تداوي المتربه
ولم تزل حتى هوت عن عشا منتحبه
فباعت الحب لمن باع إليها حطبه

حلم في كوخ

لا تطبقي الأجنان عن حلمي فأخيلة المساء
وشفاه هذا الليل والأنسام تصدح بالغناء
ومعابد الصفصاف والأوداء تحلم بالضياء
يا زهرة الفردوس
في كوشي تنامين المساء

* * *

قُبلت أحزان الربيع على شفاهك فاهجعي
لكن سينبثق الصباح فلا أراك بمخدعي
إلا بقايا من دموع قد مزجن بأدمعي
يا صيحة الأعماق
في كوشي تعالي واهجعي

* * *

أحرقت أجنحة الظلام على لهيبك فاسمعي
ما قالت النيران للباكي على حبي معي
ما قاله النبوع للظمان : وبك ألا تعي ؟
يا حسرة الظمان !
في كوشي تعالي واسمعي

* * *

أنشودة الماضي وتمثال الطفولة لي عزاء

وعرائس في فكري الخلاق تحلم بالصفاء
وذباله في الجانب المهجور تشرق بالبكاء
فتسود في نفسي السكينة
أين يا نفسي العزاء ؟

* * *

لَفِّي رفات الحب في طيات ثوبك والجناح . . .
واعمي جفون النور في خصلات شعرك في الصباح
وتنقلي في الأرض هائمة على متن الرياح
فوق الضباب الحلو في الوادي
إذا انتفض الجناح

* * *

لكن سأبحث دون جدوى عنك يا روح الحبيبة
في الصحوف في الأحلام في الأحرار في الجزر الغربية
وأهيم كالمشده في صحراء حرمانى الكثيرة
وأصبح في نومي وأسأل عنك
يا روح الحبيبة

* * *

أحسست في قلبي بروح خدرت فيها الجراح
وأنا أطوف الليل كالأشواق أخطر في جناح
فدلقت للوادي وكاد على فمي يبكي الصباح

وسمعت قلب الليل ينعي

يا أغاني ! يا جراح !

* * *

ينعى هوانا والسماء يكاد ينعاها الظلام
والنجم فيها ضحكة سوداء أيبسها الأوام
مرت على ثغري فماتت ثم ذابت حيث نام
والرياح جرح تائه في الأفق

سَمَّهُ الظلام

* * *

فصحوت من حلمي أطالع صورة تحت الذبال
متضائل الأفكار تغمرني أعاصير الخيال
فسمعت أوراق الخريف تثن في قلب الليال
يا حسرة الأنسام ! يا حلمي

لقد همد الذبال

* * *

ونظرت للحقل البعيد وإذ بفلاح عجوز
في الأرض يبذر حبه المؤؤود في بعض الحزوز
فمددت كفي ، أين حبي يا أغاني ، يا رموز
هل مات حبي واستحال

فؤادي الباكي عجوز

أخاف على الورد من جارحيه
ويجرحني في الهوى برعم
ويزكو فيلثمه السارقون
ويحرم عن لثمه المغرم
وتجرحه خائنات العيون
وعيني له أبداً بلسم

* * *

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه يبسم
وأحنو عليه كأماً رؤوم
وأكتم حبي فلا يعلم
وينفر مني كظبي وديع
أحاق به صائد مجرم
وإني عليه ومنه أخاف
فأقتل في الصمت ما أكتم
وأطوي إليه صحاري الحياة
يمزقني سرّي المبهم

* * *

على طلل الذات مني بقايا

تشد الجراح ولا تُهزم
إذا أسر العاشقون الهوى
فإني إلى الحب أستسلم

* * *

وأقطع ليلي أنادي النجوم
وليلي من قلبه أرحم
أنادي فتغمرني الذكريات
ويغمرني موجهها المظلم
وتعصف بي عاصفات الردى
فأرنبو إليه وأسترحم

* * *

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه يبسم
وأحنو عليه كأم رؤوم
وأكتم حبي فلا يعلم

عزلة

عامان مرّاً إثر صيف في ملال تلفتي
تتماوت الأيام حولي في مطارح غربتي
وأنا . . أنا كالوهم معتكف على قيثارتي
أشدو فأسمع في صداها قهقهات « تعاستي »

* * *

الحب والأمل الوريث عبدته وهماً هناك
وصلاتك العذراء - يا قلبي - تضاعف من أساك
أحرق فيها زهرة حمراء تقطر من دماك
وعلى شغافك شوكة الدامي يرنح من قواك

* * *

يا قلب ماذا؟ كل لحن مات في قيثارتي
اليأس والأوهام والحلم الوجيع ودسعتي
حتى خيالات الجنون تنفست في عزلتي
ولهاثها المسنون أمطاراً تسيل بظلمتي

* * *

أسمع الأقدام تضرب في الطريق ومن هناك
تحدو بها الآمال والآمال ذاهبة « دراك »

إلّاك يا قلبي قبعت تحوك شدواً من رؤاك
فتحوم الأنغام عارية وترقص في لظاك

* * *

تتساقط الأوراق ذابلة بصمت حديقتي
وشبابي المغمور يشحب في مجاهل وحدتي
وأنا . . أنا كالوهم معتكف على قيثارتي
أشدو فأسمع في صداها قهقهات « تعاستي »

التمثال المشوّه

نصبتك تمثالاً على شاطئ الذكري
مشوّه عمياء من طينة حمرا
يلوذ الصعاليك السكارى بظله
إذا ما دجاليل الصعاليك وأغبرا
وتنسج فيه العنكبوت خيوطها
فتلقي على ماضي مبادئه سترا
ويحتضر البوم المشوّه باسطا
جناح الخطايا فوق أطماره العرى
وتلتفت أفعى لعنتي حول صدره
لتمتص من نهديك ما أبقت الذكرى
سيبقى على شط الليالي كصخرة
مهشمة حمراء يحتضن الصخرا
يطوف أسارى الحب من حوله فلا
ترف له عين وكم ضاجع الأسرى؟!
وتهفو النفوس الظامئات لمن هفا
وأشواقه في القلب مخنوقة حسرى
وسوف يضيء الفجر ليلى وترتمي
على قدمي الأحلام مزهوّة سكرى
فإن هومت يوماً على شاطئ الدجى
خطاي ولم أجزع حفرت له قبراً

ألا تسمعين بقايا النشيد
يموت على شفتي الظاميه ؟
لقد أطفأ الحب مصباحه
ولم تبق في قلبه باقيه
وهوم طيف النعاس الثقيل
يغلف أجفانه الداميه
ويلقي عليه ستار الظلام
كأن لم تكوني له هادية

* * *

ألا تسمعين ؟ ألا تسمعين
على شفة لم تعد قادره
على شفة أحرقتها الكؤوس
على شفة لم تعد طاهره
على شفة لا ترى في الجمال
سوى زهرة للثرى صائره
وماذا يحس الفؤاد المهين
وأشواقه في الهوى عاثره ؟
وأغفوا لأنسى هواك القديم
وإذ أنتِ في غفوتي تسهرين
وعيناك في روعة الذكريات

تجود بما في الهوى تبخلين
تبلىل بالدمع حلماً مضى
إلى غير ما رجعة أو حنين
فتشهق أنفاسه المتعبات
أما زلت يا فتنتي تذكيرين؟

* * *

وأصحو لأنسى هواك اللجوج
فأكتم في الصحو أنفاسيه
أخاف! أخاف خيلاً يلوح
خيلاً ليقتلني ثانيه
وهل في الطريق سوى الذكريات
وأشباح أيامه الفانيه
تلوح في قبضة من تراب
إلى الريح والنجم والهاوية

* * *

وأمضي إليك مع السائرين
لأنسى جراحي ، لأنسى الهوان
لأنسى مواعيدك الكاذبات
لأنسى مكاني ، لأنسى الزمان
ولكنني في طريقي إليك
أحس بصوت يفيض حنان :

سنو صد دونك باب الهوى
لتقضي شريداً، وحيداً، مُهان

* * *

وأسأل عنك سؤال الغريب
يفتش عن روحه الهاربه
وأصغي لعل قلوب الجماد
تحركها صورتي الشاحبه
فتفتّر عن بسمه في الظلام
تدل عليك .. ولو كاذبه
ولكنني عند ذاك الجماد
أخاف ! أخاف من العاقبه

* * *

وأمضي أسائل عنك الطريق
وما في الطريق سوى الذكريات
تشيّعني قهقهات السنين
وأشباح موتى غلاظ قساة
وأصدقاء ماض يقول هنا
نشرت الأقاحي وحبّك مات
فألمح في أوجه العابرين
نحيب الشكالى ونوح النعاة

* * *

وأصحو فأبكي وما في الطريق
سوى زهرة في الثرى ذاويه
سوى زهرة من زهور الربيع
وأثار أقدامك العاريه
وحشد من الطير فوق الوكون
تساورها اللوعة القاسيه
وبُقياً نشيد بقلبي يموت
وأصداؤه في فمي باقيه

* * *

وأطرق باباً وراء الخيال
وراء الشروق ، وراء الغروب
فألّمح من خلفه الذكريات
تهييء لي زهرات وكوب
وآلهة حولها يرقصون
على رنة العود فوق اللهب
وأرواحهم من خلال اللظى
تقهقه نشوى بوجهي الكئيب

وكر شيطان

الليل لف بساعديه أضالعي
وأنا وقلبي في الدجى نتشوف
لا الليل يدري ما نحوك بصمتنا
حتى ولا الأحداق منا تعرف
فهناك في قلب الظلام خميلة
نمّت على طفلين يعتنقان
طفلين في عرس الربيع تظامأت
شفتاهما فتعانقا بحنان
لم يعرفا دنس الحياة ولؤمها
فهما على وتر الهوى نغمان
يتناجيان إذا النجوم تناثرت
والريح قلب والدجى أذنان
قالت له : « في العالم الثاني
إما قضينا سوف تلقاني
وإذا ضياء الفجر أيقظني
بدموعه أطبقت أجفاني
وإذا الخريف الجهم باكرني
وهواك في الغابات ناداني
سأحور زنبقة على غصن
بيضاء كالماضي لتهواني
وأعود في شفتيك أغنية

تبكي الجماد على هوى فان
الحب أم عدو الظلال ترى
بخشى على عقباه طفلان؟
« من نحن يا حبي؟ أغنية
أم ضحكة أم عود ريحان
هذي الخميعة بالهوى عبت
وغداً ستمسي وكر شيطان »
فتلمظت شفثاه واختلجت
« أختاه! هل في العالم الثاني ..؟
الزهر؟ ما نفعي بزنبقة
تفنى على مستنقع فان
الشعر؟ ما نفعي بأغنية
مصبوغة من دمعي القاني
أنا لا أحب الحب أخيلة
وتعلة في ليل أحزاني
من نحن يا حبي؟ أحس بها
كالنار في أعماق وجداني
وأحس فيها رجع عاصفة
ستطيح في حبي وإيماني
من نحن يا حبي؟ » وعانقها
والليل كالمستوفز الجاني
هذي الخميعة بالهوى عبت
وغداً ستمسي وكر شيطان

عينك باسمتان مثل بنفسج يتفتح
في الغاب ... في الليل العميق
في معبد الحب السحيق
حيث السعادة لا تنام
إلا على سرر الغرام
حيث الأزاهر لا تفيق
إلا على همس الطريق
عبرى يبللها الندى
حبرى أيقظها الردى؟ ...
في صحوة الفجر الجميل
من غصنها النامي البليل

* * *

إطراقة حبرى يظللها لقاء عابر
كلقاء أبناء السبيل
في ظلمة الليل الطويل
يتسكعون بلا رجاء ...
ويضربون بلا عزاء
في مهمه خاو رهيب

في عالم الصمت الكثيب
حيث العواطف تستحيل
ضرباً من اللغو الثقيل
والدمع والظل الظليل
ما الدمع؟

هل يروي الغليل؟
شفتاك راجفتان مثل خواطري
إذ ترجف

كادت وهمت بالسؤال
وكأنها قالت :
تعال!

الليل يهمس والسكون
والنهر والموج الحنون
وجوارحي النشوى :

تعال !

إني عشقتك في الخيال

من قبل كنا أو نكون

من قبل أن تصبو العيون

النهر يهمس والظلال

وكأنها قالت :

تعال !

* * *

شفتاك ظامئتان مثلي للهوى تلهف
لكن أنا

من قد أكون ؟

أأصاب أوهامي الجنون ؟ ...

لا ...

لن أجيب ولن أعود

وأستجيب إلى الوعود

ماضي أغفى واستراح

لا ...

لن أعود إلى الصباح

لكن سألتك مَنْ أكون ؟

فهنالك غيري في الدجون

يهفو إليك ...

أسمعين ؟

نجواه

في الريح الحزين

من أحزان الليل

آمنت بالليل الذي لا ينتهي
ودفنت في جنح الظلام صباحي
وحطمتُ أقداحي على شفة الهوى
ولقد حطمتُ على الظما أقداحي
من لي بظامئة تزيد تعطشي
وتسم في سود الظنون جراحي؟
وبصحوه مخمورة تئد الرؤى
وتشل إحساسي بسكرة صاح
وبقمة ثلجية دون المدى
أطوي عليها في الثلوج جناحي
ماذا أريد من الصباح وقد ذوى
زهر الربيع على ثمالة راحي
وشموعي اللائي أضأت بها الدجي
شربت سناها ضحكة الأرياح

* * *

يا ليل! يا غاب العطور! ويا صدى
حبي الذي قد مات قبل صداحي
هل في فضائك من خيال ماردا
يهوي على ليلي بقبضة ماح؟
هل في نجومك من شهاب جامح

يدمي على قبر الشباب جماحي

* * *

آمنت بالليل الذي لا ينتهي
وحطمتُ من فزع الروى مصباحي
ونهزت في نهر الظلام مشاعري
حتى تخضب ماؤه بجراحي
يا ليل ! يا غاب العطور ! ويا صدى
حبي ! ومبكى أمسه الملتاح !
هذا الخريف يجذ أوراق الهوى
ويهز من ظمأ الهوى أدواحي
لا الريح تفهم ما أقول ولا الصدى
يلقي على سمع الخريف صياحي
أموت والليل الأبيد على فمي
نغم يضيع بعالم الأتراح ؟
والحب والمتع الخوالد والضحي
وهم يعربرد في جنون رياحي
فكأن خلف اليلع ليلاً آخراً
والموت بينهما يجر وشاحي

وراء السراب

رجعت إليك كطير جريح
يعود من الغاب عند المساء
يلوك بمنقاره زهرة
ملطخة ببقايا... .. دماء
فألقي إليك بأشلائها
وعاد جريحاً كما هو جاء
يرف بعيداً وراء السراب
ويطوي الصحاري... صحاري الظماء
ولكن أجفانه الناعسات
بكين! وماذا يرد البكاء؟
لو ان السراب يعي ما الذي
يعاني الظماء لأهرق ماء
فمات فلم يبكه طائر
سوى هارب من جحيم السراب

* * *

أكانت حياتي كهذا الجناح
صراعاً مريراً ومحض اكتئاب؟
ألا فاسكتي يا جراح المساء
فإني وهبتك حتى الشباب
وماذا عليّ إذا لم أكن

إلهاً وحلمي تواری وغاب
لقد كان لي في ضفاف السماء
مطار كقلبي رحيب الجناب
ولكن أشواقي العاصفات
تناوح فيها حنين التراب
فعدت إليك كما تعلمين
جريح الأماني خضيب الرغاب
تعاودني ذكريات السراب
فأبكي وماذا يرد البكاء؟

عيونك الخضر التي أترعت
جامي بخمر الألم المبدع
أمواجهها ما برحت تلتقي
كأنها الينبوع في أضلعي
أحسها في لهفتي ، في دمي
في خفقات القلب ، في أدمعي
كأنها أظلال صفصافة
على مرايا جدول مسرع
ظلمت أستدني على بوحها
خيالك النائي ولم أهجع
وهمت كالريح بلا مأمل
من بلقع خاو إلى بلقع
تفجأني ذكراك مذعورة
وتلتقي عيناك فيها معي
أقول إن مرت بقايا هوى
حسناؤه ولت ولم ترجع :
« غداً ! غداً » يا ويلتا من غد
يا ويلتا من غدي المفعج
« غداً ! يعود الحب في عودها
ويرتوي من نبعها بلقعي »
والتقي بالغد لكن بلا

وعد ولا لقياً ولا منبع

* * *

عيونك الخضِر وإن أذبلت
وردي فجف العطر في مربعي
ما زلت في أمواجهَا برعماً
تلهمني في الحب ما لا أعِي
كأنني أسطورة في الهوى
وأنت من أربابها الهجع
هذي قرابيني لما تزل
في ديرك المهجور لم ترفع
غدي وأمسي بعض أغلالها
وبعض ما جف من الأدمع

أسطورة عبقر

أعطيتني سر الغناء وقلت لي :
إهبط من الفردوس أنت ومزهري
ما كنت في الفردوس إلا خاطئاً
في قلبه جفت منابع أنهري
فنزلت في واد يقال بأنه
للجن كان حديقة ولعبقر
ويقال إن الملهمين بظله
نهلوا أفويق البيان المسكر
فلمحت في أحنائه جيف البلى
تطفو على مرآة نهر أخضر
وبهائماً ترعى هشيماً يابساً
وتلوك أقصاب الهواء الأصفر
وحطام قيثار يقال بأنه
بالأمس غنى في رعاية (قيصر)
(جنكيز) ضفدعة على أوتاره
لصقت فأورثت الجنون (لأنور)
أنصاف أقزام أراغ نفوسهم
لمع السراب على الدم المتفجر
حملوا الضمير جنازة وأمامهم
وقف الفناء على الطريق المقفر
فهتفت من أنتم؟ فقيل بأننا

أحفاد عبقر وانتحار الأعصر
كلنا المديح إلى الفناء فقوّضت
ضحكاته عمد المديح الأزور
النور أبقى من رفات بياننا
مثلاً شروداً للظلام المنكر

* * *

ما عبقر الفنان إلا قلبه
فإذا قضى جفت منابع عبقر

غيوم الربيع

يا غيوم الربيع هذا فضائي
موحش يسكب الملال عليا
وغطاء الظلام يثقل روحي
فيغيب الوجود عن مقلتي
وخفوق السكون يرهق حسي
وينندي بهمسه مسمعي
يا غيوم الربيع هذا فضائي
موحش يسكب الملال عليا

* * *

يا غيوم الربيع هذا فؤادي
في جحيم الهدوء للصمت يشكو
شرب العاشقون في الحب خمري
ونصبي من خمرة الحب شك
ألهم خمرتي ولي عبراتي
ولقلبي البكا وللناس ضحك ! ؟
يا غيوم الربيع هذا فؤادي
في جحيم الهدوء للصمت يشكو

* * *

يا غيوم الربيع هذي دموعي
في دروب العشاق ضاعت هباء !
مثل نجم في البيد يهدر ضوءاً

من سماواته إذا ما أضاء
أو كزهر ذوى وضاع شذاه
قبل أن يرثي الربيع الشتاء
يا غيوم الربيع هذي دموعي
في دروب العشاق ضاعت هباء

* * *

يا غيوم الربيع هذا ربيعي
الحنين المجهول أهرق جامه
والفراغ الذي يجوع فيعوي
سدت كفه إلى سهامه
فأصابت مني ومن كبريائي
وأهالت على الجراح حطامه
يا غيوم الربيع هذا ربيعي
الحنين المجهول أهرق جامه

* * *

يا غيوم الربيع صبي دموعاً
فوق صحراء عمري المهجوره
أحرقني الشوك والرمال وصوني
زهرات في صمتها مقبوره
زهرات لو جادها الغيث يوماً
لبكى الروض من حياء زهوره
يا غيوم الربيع صبي دموعاً
فوق صحراء عمري المهجوره

حانة الشيطان

عينان أطبق جفنها السهر
وفم على الأقداح يحتضر
ويدي على خدي هامة
مثلوجة ... وكأنها ... حجر
وخواطري بله مغمضة
تطفو وترسب حولها الذكر
نكأت جراح الكأس فارتعشت
آه يقص جناحها الضجر

* * *

آه كأن الليل يلفظها
وكانها المصباح في الحان
وكانها عينان من حجر
أهدابها أنفاس سكران
وكانها سكين منتقم
لمعت على وجهي وأجفاني
الخمرة السوداء جمرتها
ورمادها صمتي وإذعاني

* * *

والحانة الشهاء ناعسة
والنور يفرك جفنها الشحبا

فتند حشرجة على فمها
تسقي من الأقداح ما نضبا
وتبيل غلة ظامىء نهم
أغفى على ماضيه منتحبا
ودم ... وأنغام ... وأخيلة
سود الثياب تراقص اللهب

* * *

وخمائل صفر... ونافذة
منها تطل علي عينان
ويدان من شمع تمر على
خدي فتمسح دمع أجفاني
رباه عينيها أتلك أرى
أم كوة خضراء في الحان
وخمائل أم أوجهاً شحبت
ويدين أم هبوات نيران؟

* * *

أو حانة أم تلك هاوية
ندمانها الوهم والترح؟
سحب الدخان تكاد تخنقني
ويكاد يشرب خمري القدح
أين النديم وخمرتي نضبت
والليل يطفىء نجمة الصبح؟

أين النديم أنام أم لعبت
في رأسه الصبوات والملح ؟

* * *

ظماً وأطيف ملثمة
تنساب ضاحكة وأقداح
وحفيف أثواب معطرة
وستارة زرقاء تنزاح
« باخوس » في طياتها حلم
وثمالة سوداء تنداح
وقصيدة بالنار تنثرها
شفتان أحرق لونها الراح

* * *

أين الصباح يكاد يخنقني
هذا الدخان الداعر النهم ؟
وأكاد ألمح في سحائبه
نجماً يهدده الدجى الهرم
نجماً هنا . . . بالأمس كان هنا
في كأسِي الظمآن يضطرم
رباه ! مات الصبح أم كتمت
أنفاسه الأقداح والظلم ؟

* * *

وحدي ! يكاد النوم يحملني
بذراعه وأكاد أحتضر
وخواطري مستنقع ركبت

في قاعه الأعشاب والصور
ودم ... وأنغام ... وأخيلة
بله العيون كأنها القدر
ضحك الغباء على مباسمها
والجوع والحرمان والدعر

* * *

بله العيون على الطلى عكفت
كفراشة حمقاء تحترق
محرابها أحضان غانية
وصلاتها القبلات والأرق
ونهود مغناج مصوحة
ينثال من أردانها الشبق
حفر الرعاع على مبادلها
وشماً كجرح العار يختنق

* * *

وشماً يقهقه كلما اختلجت
أوصالها ويقهقه العار
فيطل وجه ناحل شحب
البؤس يسخر منه والثار
ومقابر سود ... وباكية
عبراتها في الأرض أزهار
الدود في أوراقها قيم
تمتص عفتها ... فتنهار

* * *

قيم يصوغ الكذب أحرفها
ويفوح من ألفاظها العفن
العار يأنف أن يصفحها
وتعافها الديدان والدمن
أقزامها أشباح مهزلة
عرى يعيد فصولها الزمن
والسوط والحرمان في يده
والخمر والأزهار والكفن

* * *

سوط... وأنهار محرمة
شطانها قيد وسجان
وهديرها أفعى يضاجعها
في مخدع الأقزام ثعبان
وزوارق بيض يحطمها
في صخرة الأموات طوفان
أشلاؤها في الحان قابعة
يرثي لها ولحبي الحان

* * *

وحدي! وقاتلتي - وإن جهلت -
ماذا يدور بحلمها الآن؟
أترى الهوى الوحشي منتقماً
من جها العذري سكرانا؟
أترى رؤاي على الطلى جمدت

وتصاعدت في الحان ألحانا
أم أنها في حزن سيدها
ولهي تقبل ثغره الأنا؟

* * *

أترى هواي يكاد يوقظها
من نومها ... ويكاد ينتحب؟
أترى حطام الكأس في شفتي
نصلاً يزوج حقه الذهب
ومقابر الأحياء ... فاغرة
أشداقها ... والنصل يلتهب
أم أنها في صمت مخدعها
كالضفدع المكسال تنقلب؟

* * *

وحدي! يكاد النوم يحملني
بمحفة الموتى ... إلى العدم
وكانما الأقداح ... عاشقة
قعدت بها شهوات ملتحم
نضبت ومات الليل واحتضرت
آه النديم على جراح فمي
والحانة الشهاء ... نائمة
منهوكة أنفاسها ندمي

* * *

وتر الفن نغمة أنت فيه
لم تلحن إلا بأعماق قلبي
ستموت الأوتار واللحن يبقى
في الليالي يعيد أصداء حبي
« فاسكي روحك الحنون » بروحي
لأرى من صفائه وجه ربي
وأغنيك للربيع قصيداً
عقرياً يسبي الغيوم ويصبي

* * *

زهرة أنت في ربيع حياتي
بللتها الأنسام من عبراتي
واحتواها الصباح وهو بقلبي
ذهبي العبير والنغمات
وأسرت بأذنها وهي سكرى
والهات الأنداء والنسمات
إن في الروض بلبلاً يتغنى
فاسمعيه يا ربة الزهرات

* * *

فكرة أنت جسمت أشواقي

وأضاءت بنورها أعماقي
واستحمت من قبل ميلاد فكري
في خيال الطبيعة الخلاق
صوتها لم يزل من الغيب يجري
وصداها يضحج في الأفاق
كلما لامست خيوط شعوري
أطلق القلب صيحة المشتاق

* * *

ناعسات الجفون تغعم حسي
بشذا زهرة على النبع تحلم
مرّ راع عند الضحى فرأها
كعروس والتاج بالطلّ مفعم
وعذارى الزهور حول صباها
قد شهدن الراعي كذلك يحلم
فتبسّمن في حياء فأغضى
جفنه للثرى مخافة يأثم

* * *

كنت بالأمس عاشقاً بيد أني
في ظلام الأدغال أدفن عشقي
في ظلام الصمت الحزين بدمعي
كنت أخفي هواي عنك وأسقي
ثم ماذا ! لقد رأيتك يوماً

كوكباً ذاب في سمائي وأفقي
فتنهدت متعباً وفؤادي
صاح أهواك يا مدافن شوقي

* * *

أنا أهواك ؟ لست أدري لماذا ؟
ألأنني وجدت صورة نفسي
أم لأنني حُرمت من عطف أمي
فنشدت الحنان منك ليأسي
أم لأنني رأيت فيك مثلاً
لمعانٍ تظامأت تحت حسي ؟
فدعيني أهواك للحب حتى
يحفر الحب في فؤادك رمسي

* * *

أنا روح مشرّد في الوجود
فدعيني أهوى ولو من بعيد
لا تشيحي إذا رأيت وجومي
هكذا ؟ هكذا أردت وجودي
في أغاني النسيم في الفجرِ أمّا
رقص الورد رقصة المكدود
في صلاة العصفور والعش ملقى
تحت أقدام دوحة في الجليلد

في صباحك الشوان ألمح طيراً
وربيعاً من العواطف مُغرم
وقفت في حماه ربّة شعري
والليالي من حولها تتحطّم
في يديها قيثارة الحب ثملى
وصداها همس الربيع المتيم
قد رآها العشاق يوماً فقالوا
إنها وحي شاعر يتجسم

* * *

صورة أنت من قديم الزمان
رسمتها مدامع الحرمان
وشعاع الخلود أضفى عليها
رائعات الظلال والألوان
وجمال الإغريق نسج صباها
ولهيب الصحراء يلتقيان
فتعالى يا وحي روعي تعالي
حدثيني فأنت وحي الأغاني

* * *

يا إلهي فجرّ ينابيع نفسي
هي ذاتي خلعت فني عليها
يا إلهي ضمخ بعطر صباها
نغماتي واحفظ سنا عينيها

يا إلهي وامسح دموع الرزايا
عن جبيني المعصوب في شفيتها
واعمر القلب بالعفاف فإني
لم أغرد في الحب إلا إليها

العطر الأحمر

يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أرق لي لي عطرها الأحمر
قلبي شرع حائر واجف
يهوى به شلالك المسكر
شلال ضوء في ضلوع الدجى
يجري وفي قلب الدجى يهدر
أطبقت أحفاني وأين الكرى
وأنت في أعماقها تسهر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أرق لي لي عطرها الأحمر

* * *

نار مجوس الشرق مشبوبة
فيك وعبّاد اللظى كبروا
لن يدخل المعبد هذا الفتى
ما لم ييارحه الألى كفروا
جاءك من دنيا بها يكتوي
الشعر والشاعر والمزهر
من عالم آفاقه قمقم
الروح فيه جثة تقبر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة

أزَّق ليلي عطرها الأحمر

* * *

الناس ! ما الناس وما جهم
إلا دم يردي ولا يسكر
دم ولحم أزرق باهت
منه الخطايا في غد تثار
وحبنا ! ما حبنا ! كوكب
في القفر يستهدي به المصحر
نهير عطر في صحارى الهوى
ذابت على شطآنه الأعصر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أزَّق ليلي عطرها الأحمر

* * *

يا مرقص النيران يا ديمة
القفر من أنفاسها مزهر
ويا بريقاً عوذته الرقى
على عصا مسحورة تسحر
لن يحرق الشاعر هذا اللظى
وأنت في قلب الدجى مضمّر
فالحب في دنياه دين به
يتحد الناظر والمنظر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أزَّق ليلي عطرها الأحمر

أغنية

في البرعم الغافي وفي الهدب المبلل بالدموع
في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع

روحي تفر - إليك - مني

ثملى يجنحها التمني

وإذا أفقت وأنت عني

في معزل وأنا بسجني

رجعت إليّ تقول : غنّ

ما زلت نشوان الخواطر تائهاً

في الوهم أضرب كالقراش الحائر

ماضيّ يجذبني إليك بلهفة

ويكاد في عينيك يشعل حاضري

ويهز في أعماق روحي صورة

هي سر أحلامي وفرحة خاطري

لولا سناها ما عرفت حقيقتي

ونشيد إنشادي وكنه مشاعري

* * *

حيناً أرى روحاً كروحك في البهاء وفي البريق

فتهم أحلامي بها وبوجهها الصافي العميق

وما تكاد تغيب عني

في ليل أوهامي وظنّي
حتى يعاودني التمني
ينتاش ما أبقيت مني
فأصبح من أعماق سجني
حيناً وآونة أغني
ما زلت أحلم باللقاء ولا يني
روحي يرف لكل طيف عابر
كم يقظة لي في الهوى بددتها
في زهد صوفيّ وعفة شاعر
فكأنني أحببت حلماً ظامئاً
وسدته وغدوته من خاطري
حتى إذا راجعت أمسي لم أجد
إلا بقايا دمعي المتناثر

* * *

عيناك

عيناك كالليل ماذا في سوادهما
عوامل من أساطير ومن رجم
ذبحت قلبي على أهدابها فإذا
بالقلب يسخر في عينيك من ألمي

* * *

عيناك عاصفة هبت وما تركت
على صباي سوى طيف من السقم
طيف إذا اكتحلت عيني برويته
ترغرغ الدمع في عيني من ألم
ورحت أصرخ في نومي أسائله
عن الصبا وعن الماضي وعن نعمي
وعن غرام لنا في أوجه انتشرت
أزهاره واستقرت روحه بدمي
روح كوسوسة الشيطان تدفعني
إلى الخطيئة أبلوها إلى العدم
هذا الشحوب على جفني يشهدكم
من ليلة خبطت عيناي في الظلم
وكم مآثم أشواق شربت بها
حتى الثمالة أقداحي ولم أنم
أدعوك والظلمة الصفراء تعصف بي

وفي دمي ثورة من عصفها النهم
وفي رؤاي تهاويل مخبلة
تجتاح أضلعي التعبي كمنتقم
حتى الجمادات قد دبت بأعظمها
بقية من لهيب الظلمة الضرم
فهذه الشمعة الوسنى على دمها
نامت موسّدة في حضنها حلمي
والفجر يرمقني من خدره حذراً
كأنه توبة أو لعنة الندم

* * *

عيناك مقبرة في صمتها نسجت
عناكب اليأس أكفاناً من الظلم
هذا العفاف الذي قد تدّعين به
كان الطريق إلى موتي وملتهمي
لم يبق فيّ سوى جسم تهدمه
معاول اليأس واللذات والندم
ونغمة كلما مرت على شفة
باتت تسائلها عن عالم الرمم

وكيف أظير

هبوباً هبوباً لعلّي أظير
لعلّي أنسى هواها المرير
لعلّي أنسى صباح الهوى
وخضر العيون وليل القبور
لعلّي أنسى زماني الشقي
ويبرح روحي مكاني الوعير
وكيف أظير وأنت الجناح
وأنت الخفوق وأنت الغدير؟
وحبي السجين أضاء السماء
وحبي المرير غرامي الأخير؟
فلا تسألني في الهوى من أكون؟
ولا تسألني في الهوى ما المصير؟
أبكي وفي قبضتيّ اليراع
يخيف الظلام ويدمي السطور
وفي شفتيّ هدير الحياة
وفي مسمعيك بقايا الهدير؟

* * *

سأضحك يا ليل حتى أموت
وحتى يموت هواها المرير

حلم تشاءب في رؤى يقظاتي
وتشاءبت في صحوه سبحاتي
حلم يخيل لي بأن ظلاله
كانت إلى الأمس القريب حياتي
حلم أعاد إلى فؤادي شوقه
وأعاد لي ما مر من سنوات
أيام كنت من الوداعة لاهياً
أبكي وأضحك ساذج النزوات
سكران من خمر الطفولة والهوى
لا أرتضي أحداً يضم فتاتي
ألهو وألثم ما أشاء شفاهها
وأصونها إن شئت عن قبلاتي
وأضم أمي إن غفوت معللاً
نفسي بحلم - لا محالة - آتٍ
وإذا الصباح أطل من محرابه
وصحا الشذا في برعم الزهرات
ألفيتني طيراً تسارق روحه
قيثارة مبهورة النغمات
أعدو مع الشمس الوضيئة في الضحى
والكون قلبي والسنا بسماتي

وعلى ضفاف النهر أقبع حالماً
وفمي يردد ما تقدس ذاتي :
يا نهر يا سر الحياة وروحها
هلا استمعت لصرختي وشكاتي ؟

* * *

إني أتيتك يافعاً وغداً ترى
وجهي مياهاك ذابل القسمات
تعلو شفاهي نغمة مجروحة
نفض الردى في طيها صبواتي
وغداً ستنسى من لثمتُ شفاهها
حبي وتنسى في الهوى عبراتي
وغداً سينساني الذين بكيتهم
بدموع قلبي أو خشوع صلاتي
وغداً أرى أهلي الذين ألفتهم
ترمي بهم كف الردى لفلاة
ربداء تعوي الريح في ظلماتها
وتداس فيها حرمة الأموات
وأرى التي أحببتها ووليدها
يتناغيان بناعم الهمسات :
من ذلك الشبح الشقي وما اسمه ؟
وعلام يهرب زائف النظرات ؟
حلمي الشقي يكاد - رغم شحوبه -

أن ينجلي ويهيم في الظلمات
ليرى التي قتلت شبابي عنوة
ومضت ولم تسمع صدى صرخاتي

يا سنا الله بصحراء انتظاري يا هواها
أنت فجر رائع الألوان إن ليلى تناهى
وجراح قبست من لمعة النصل سناها
الليالي السود لم تدرك - وإن طالت - مداها

* * *

من تراها؟

أنا لا أعرف ويحي من تراها؟
همست في مطلع الفجر وقد ضاع صداها
أيها الفجر الذي ذابت به ، أين أراها؟
أنا سهران وفي عيني لهيب من جواها
وعلى ثغري بقايا رشقات من لماها
وبقايا حلم أوغل في النور وتاها

* * *

من تراها؟

أنا لا أعرف؟ ويحي من تراها؟
همست في مطلع الفجر وقد ضاع صداها

* * *

أيها الغاب الذي مرت به أين شذاها؟
ما لأزهارك هل أخفت عن الزهر أساها؟
التلال الشهل والأنسام تبيكي وهواها
صامت بيكي وقد بيكي انتظاري لورأها

ضجر

قلب وراء الليل ينتظرُ
فمتى يريق ضياءه السحر؟
ضاق الفضاء كأن عاصفة
مكتومة في الغيب تنفجر
وكانما الظلماء مقبرة
يسطو على أشجارها الضجر
تمتص ضوء النجم ظامئة
وينسوح في أحشائها الحجر

* * *

وكانما الأشجار قافلة
شردت وفي أجفانها حلم :
أوراء هذا الليل موقدها
متأجج النيران مضطرم؟
أم في كهوف الموت يقضمها
جان يمزق قلبه الندم؟
أم تنزوي في خدر ناعمة
حولاء يسجد دونها صنم؟

* * *

ما للفضاء يضيق بي وعلى
أجوازه أحرقت أجنحتي
وعلى غدائر ليله اضطجعت

أحلامي الموتى ومقبرتي
وتباكت الأغوار وانتحبت
في صمته الثلجي عاصفتي
والياس والموت البطيء على
أظفاره ينتاش أخيلتي؟

* * *

والليل ما لليل ينطبق
ويغيب في تابوته الأفق
وتدمدم الأرياح عاوية
في قلبه الخاوي وتنطلق؟
ويدي على التابوت باردة
وعلى جبيني ينضح العرق
والنجم مصباح به عبثت
أيدي الملل وغاله الأرق

* * *

فيم انتظاري دون ما حلم
وغدي إلى الأحلام يفتقر
وتلفتي والأفق مضطرم
دام يموت وراءه السحر؟
وقبور مأساتي مفتحة
يعوي على أكفانها القدر
نفضت قيود الأمس وانتبذت
ركناً قصياً فيه تنتظر

« بغداد » يا أغرودة المتهى
ويا عروس الأعصر الخاليه
الليل في عينيك مستيقظ
وأنت في مهد الهوى غافيه
زوارق الأحلام في سجوه
سكرى ترود الضفة الساجيه
والحور والصفصاف لم يهجعوا
إلا على أقدامك العاريه
يحتضنان الصمت في قبلة
عذرية مشبوبة سابييه
والبلبل الليلى في شدوه
أيقظ حتى الدوحة الداويه
فارتعشت أوراقها لهفة
إليك وانسابت مع الساقيه
و« دجلة » العاشق ترنيمه
تشدو بها أنسامك الساريه
القمر الضاحك في حضنه
زنبقة فضية طافيه
على سنائه تستحجم الرؤى
والخمر والندمان والفاغيه

*

بغداد في حبك أهل الهوى
ماتوا! وأنت الطفلة الباقيه
قلب النواسي الذي أسكرت
أشعاره أهدابك الساهيه
أقداحه لَمَّا تزل في الثرى
تحلم في بعث الهوى ثانيه
والمعبد الشعري لَمَّا تزل
أبوابه مهجورة كابيه
يذوي ربيع الفكر في ظلها
وتنطوي أعراسه الزاهيه
وتلتقي الأضداد في ضحكة
مجنونة أصداؤها قافيه

* * *

بغداد هذي دمعتي في الهوى
وما دموعي غير أشعاريه
ذوبتُ فيها ذكرياتي التي
كانت بليل الحب مصباحيه
وأمنيات غضة لم تزل
أنفاسها في عزلتي ذاكيه
بغداد إني ظامئ لالهوى
فعطري بالحب أجوائيه
موجتك العذراء تجري لمن
ومهجتي محروبة صاديه؟

إن كان للصحراء تجري ففي
عينيك صحراء الهوى ثاويه
وحولها الفكر بلا مأمل
يحلم في واحاته النائيه

* * *

بغداد يا أغرودة المنتهى
ويا عروس الأعصر الخاليه
الليل في عينيك مستيقظ
وأنت في مهد الهوى غافيه

على شاطئ الوهم نامي
كمقبرة في الثلوج
ولا تسألني عن غرامي
ولا تسألني من يعوج
على ظلل دارس
أعاد الحبيب ؟
ففي صمته العابس
أمان تذبذب
قبيل الغروب

* * *

ولا تسألني النجم عن موطني
فما موطني
غير هذا الفضاء
ولا تذكريني ولا تحزني
إذا ما سمعت
رياح المساء
تولول بين الشجر
فتوقظ حتى الحجر

*

ولا تسألني من أنا
ولا تندبني حظنا
فما أنا إلا كهذا الجناح
جناح شريد
بكته على الأرض حتى الجراح
يسائل أيامه عن غد
ويروي إلى الليل حلماً جديداً
ويصغي وما من معيد
لهذا النشيد

* * *

ولا تجهشي بالبكاء
إذا ما السماء
أهالت عليك
رماد الرجوم
ففي مقلتيك
ضياء النجوم
يقود خطاي . . ويمحو أساي
ويحفر قبوري بواد الجنون
ويوغر صدري بثتى الظنون

* * *

وإما استفاق هواك الصبي
فلا ترضعيه دموع الوداع

ولا تفجعيه كحبي المضاع
أخاف عليك ومِمَّ أخاف؟
وفي شفتيك رحيق زعاف
أحس به في دمي كجوع رهيب
وأنفثه من فمي غناء رتيب

* * *

فديتك لا تسهري
وإن كان هذا السهر
تغلغل في محجري
فأرق حتى الحجر
وغنى به العاشقون
فلم يبق في مهجتي
ضياء به يبصرون
غرامك
في لوعتي

أنا يا رماد بقيّة
هل بعد أن داس الخريد
وتحور أشواقِي دماً
أسقاه أوهاماً فلا
فأموت كل هنيهة
لا خل يفهمني ولا
لا شيء إلاّ واحة
الأفق يحجبها فلا
شرب الرماد دموعها
من نارها فخذ البقيّة
ف زنا بكي تبكي عليه
متوهجاً في أصغريّه
أسقى سوى خمر المنية
وأعود للدنيا الشقيّة
تصغي رؤى نفسي إليه
خضراء في حلك العشيّه
تبدو سوى عين بكيّه
فتنهدت تلك البقيّة

الدانوب الأزرق

و «شترأوس» يصغي وراء الظلام
ومعزفه منصت مطرق
تسائل عيناه من هذه
فيجهش «دانوبه الأزرق»
حنوناً كأنفاس حورية
طيوب الربيع به تعبق
كمرثاة حب بُعيد الشباب
يغني بها عاشق مخفق
كنار تئز... كبحر هفا
وغاب بأحضان زورق
كغاب من العطر أغفت به
رياحينه وغفا الزنبق
وتغمض والدمع في موقها
عصارة قلب به تعلق
تسائل معزفه والصدى
يولول واللحن مغرورق
فيهتف في لوعة من أنا؟
ومن - يا رؤى يقظتي - أعشق؟
أعشق ناراً وأين اللظى؟
فإنني إلى لذعه شيق

أقضي نهاري وأسهر ليلي
وفي خاطري هاجس مقلق
وفي ساعدي أضغ الفراغ
وأحنو عليه ولا يشفق
كأن الثواني دهر طويل
يقيدها الزمن الأخرق
ويسحقها سأم ظاميء
على مهجتي ليله مطبق

* * *

وأنت خيال يذوب رويداً
على معزف نابض يخفق
تمر عليه كلمس الندى
يداك فينطق ما ينطق

* * *

تنادينني من ظلام البكاء
بلحن به كنت أستغرق
بلحن به كنت أبكي الحياة
فيفتح لي بابها المغلق
وتصحو على رجعه الذكريات
ويدلف من خدره المشرق
تنادينني وألتماع البروق
يضيء السحاب فلا أبرق
أماتت منايَ وكانت ضحى

تغني وهل خانني المنطق؟
وهل معزفي هجرته اللحن
وبارحه سره المحرق؟

* * *

فيا فتنة أيقظت خامداً
من النار في وتري تشهق
ويا كوكباً من ظلام البكاء
يظالعني وجهه المشرق
شواطئ أحلامي المقفرات
يناديك زورقها المغرق
تميل به الريح أنى تشاء
وأنى يشاء له المفرق
فلا هي تدري متى يستكين
ولا هو يدري متى تشفق

* * *

ويا أخت من سفعته الجواء
وأنكره الأفق الضيق
لئن رق معزفك المستبد
فحبي من لحنه أعمق

قولي له

ماذا أقول له إذا ما عاد يوماً يسأل
أين التي بالأمس كانت كالفراشة ترفل
بجناحها الذهبي في زهر الحقول وتقبل
إن جنها ليلى وهبت حولي كسوخى الشمال
قولي له جف الغدير
قولي له مات العبير

* * *

وإذا تساءل والرياح تثن في الأفق العنيد
والكوخ يخفق في ظلام الليل كالشك المبيد
ما لي أرى المصباح تخنقه يد البرد الشديد
والحقل قفراً والذئب تجوس في الوادي البعيد
قولي له مات الربيع
قولي له رحل الجميع

* * *

وإذا تساءل والضباب يلف أشباح القبور
وتفرست عيناه في وجهي وغلغل في ضميري
هل كنت تنتظرين يوماً عودة الحب النضير
وهل ابتسمت إلى ملاك الموت في النفس الأخير

قولي له ابتسمت وماتت
قولي له في الليل ذابت

وإذا انتظرت ولم يعد ومضت بي الأعوام تترى
والحقل أمرع مزهراً والطير في الأفاق مرّاً
ووقفت يوماً أندب الماضي على الأطلال عبرى
ماذا أقول إذا لمحت على تراب القبر زهراً
قولي هنا في الصمت نامت
محرومة بالوهم عاشت

أنشودة منتحر

« ليلي » أحس على فمي شفة
صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناح خفاش يطير على
قبري فيملاً بالرؤى حلمي
وأرى يداً سوداء تصفعني
وتشد شعري شدّ منتقم
وأرى غطاء القبر منتفخاً
وجحافل الديدان كالظلم

* * *

وأرى عيوناً كلما اختلجت
أهدابها رفت على غسق
الريح معولة كأن صدى
إعوالها ما زال في الأفق
وأنا وأحلامي وملهمتي
والحب حول الموقد الحنق
وذوائب النيران راقصة
في جوفه وسنانة الحدق

* * *

نتلو عليها وهي حنالمة
أقصوصة أبطالها قتلوا
كانوا على قلع فداهمهم

جو مطير عاصف هطل
فتحطم القلع الصغير ولم
ينج الذين إلى المدى رحلوا
فتجود عينها بلؤلؤة
وعلى فمي تنهافت القبل

* * *

وبلحظة ما زلت أذكرها
وعويلها ما زال في أذني
هملت عيون الليل وانتحرت
بيض النجوم على فم الدجن
فتبسمت ليلي وما ابتسمت
إلا لتحبس دمة الحزن
لكنها انحدرت لتقتلني
وتضيء للديدان في كفني

* * *

والنور يعكس ظلها قلماً
فأكاد أسرق ذلك الظلا
عبرى تقول أكنت في خدر
أم كنت في حلم وقد ولى
ما لي أراك صغرت في نظري
لما اغتضبت من الهوى قبلا
وشجبت حتى لم تعد حلماً

هلا أعدت رسائلي هلاً

* * *

ما زلت أذكر موقفي وأنا
في ظلها متلطف غزل
ما زلت أذكر ليلة هربت
روحي وتبقى وهي تشتعل
ما زلت أذكر دمعها هملاً
وشفاها تطفو بها القبل
والرياح ماطرة وملهمتي
تخفي رسائليها وترتحل

* * *

والعدوة السوداء والقمر
ما زال يسخر مني القمر
والنهر يفتح صدره حذباً
ويضمني في صدره النهر
والموج يفهق هاصراً رثي
حتى تراقص وهي تنفجر

* * *

والرياح تهمس وهي عابرة :
ظل على المرأة ينتحر
ما زلت أذكر لحظة هربت

وتجمدت في مطرح الزمن
ما زلت أذكر والريبع على
قبري يحوك الورد من كفني
كفأ مشوهة وساحرة
شمطاء تغسل باللظى بدني
ويداً تدحرجني إلى نفق
خاو فتصفعني يد العفن

* * *

« ليلي » أحس على فمي شفة
صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناح خفاش يطير على
قبري فيملاً بالروى حلمي
وأرى غطاء القبر منتفخاً
وجحافل الديدان كالظلم
وأرى يداً سوداء تصفعني
وتشد شعري شد منتقم !

أغنية النار

من صارخ الألوان من أدمع النيران
سويت يا شيطان أبداع مما كان
تمثالك العاري

* * *

منحته ... الوجدان وهبته النسيان
سميته الإنسان وقلت هذا كان
بالأمس خماري

* * *

سماؤه عينان وأرضه نهدان
في قلبه جرحان الشك والإيمان
ومخلب ضاري

* * *

يهم بالعصيان فيحرق الصليان
ويطلب الغفران وينشد السلوان
بالسجن والعار

* * *

عبد إلى السلطان أربابه عيدان
الذل والعدوان ألهمه في ألحان
أغنية النار

أحبك

« أحبك » قولها فليست مصدقاً
إذا لم تقوليها وإن صدق الناس
بعينيك منها بعض شيء أحسه
يضيء بأعمالي فيطفئه الياس
« أحبك » سر لا أعني كنه ذاته
تحير منه الخمر وانتحب الكاس
وحرار به قلبي وحرارت به المنى
وضاق بنجوى صمته المر إحساس

* * *

حنانك قولها ! حنانك أفصحي
فليس إذا أفصحت عن سرها باس
ولا تتركي زهري على النبع ظامناً
يجف ويدوي حول ينبوع الآس
فأنت على صحراء عمري كوكب
وأنت على آفاقي البكر نبراس
وأنت هوى لو لم يكن لوجدته
وإن بقيت في هيكل الحب أنفاس

هذا العبير الألهي نشقته
بالأمس وحدي من خمائل شعرها
سحب مدمّة يبدها اللظى
فتذوب في الأفق المشع بثغرها
وتضوع منها الذكريات ويرتمي
رأس الربيع على وسادة صدرها
وشذاً له طعم الدماء أحسه
في الجو يحبو من غلالة نحرها
هذي الغلالة يا عطور تذكري
من أدمعي حيكت بظلمة خدرها
في كل خيط قصة عبثت بها
أيدي الرواة وأمعت في بترها

* * *

المعبد المهجور يشهد أنني
أودعت ما أملى الوفاء بسطرها
أبوسعها قتلي وأردية الهوى
مصبوغة - وعلى فمي - من خمرها
والأمس قربان الصباية شاخص
للكوخ ، للأفق البعيد ، لقصرها

*

يا عطرها المسحور فيك قساوة
هي بعض ما تركت قساوة هجرها
جففت أعناب الشباب فما الذي
أبقيت لي إلا ثمالة غدرها
أعراقها اشتفت عصارة ميت
قتلته في عرى الجمال بعطرها
ماذا على المفجوع إن وأد الهوى
واعترض عن حلو الحياة بمرها؟
والتفّ في بُرد الرعاة مشيعاً
هذي الخراف الجائعات لقبرها
وذوى كما يدوي البنفسج في الضحى
والأرض معطار تميم بزهرها

* * *

هبطت بصحرائي فقلت حمامة
عادت مع الليل الحزين لوكرها
حتى إذا علمتها لغة الهوى
وأغثت ملهوف الحنين بصدرها
طارت بأجنحة السراب وخلفت
صحرائي الظمأى تلوب بأسرها

ألهو بحزني

وإذا الغداة سألت عني فسلي هزار الروض عني
وسلي أقاصيص الصبا المنغوم في وتر المغني
لترى عيونك صائد الأوهام كيف اقتصر مني
ميت بمقبرة الهوى الميؤوس ظل بغير دفن
لا الحزن يؤسره ولا الإغراق في الضحك المجن
فجأ المنى فأماتها والتف في كفن التمني
وأطال إطراقاً على جرح وراء الحسّ مُفني

* * *

عبثاً تنادين الهوى فأنا إلى الموتى أغني
في وحدتي يلهو الأسي وبوحدتي ألهو بحزني!

يا ضريحاً عرائس الفجر تبكي
وصبايا ليل الربيع عليه
ويميل الصفصاف للنبع مغمى
فيغطي الضريح في خصلتيه
وتعود الطيور غبّ الأماسي
نائحات مولولات إليه
فلذة من فؤاد أم صديع
قبرتها في مأمم الحب فيه
وَحَثَّتْ فوقها التراب فوارت
تحت أطباقه حشا والديه

* * *

فلتنوحي يا ربة الحب حتى
تبعثي الدفء في رخام يديه
وتعيدي نجم الصباح سبوحاً
مثلما كان في سنا مقلتيه
وإذا لم يفق فخليه يغفو
فإله الأحلام جاث لديه
وسعالي القبور تطعم ورداً
قطفته السعلاة من وجنتيه
فالحياة المخصاب أغضت حياء
حين جف الرحيق في شفتيه

« أين ماما؟ » وأطرق المهد يبكي
والأزاهير والنجوم عليه
وسجت صيحة السماء وطنت
حشرجات السكون في أذنيه!

* * *

يا حديث السمار موتك بعث
لعبة الموت حررت ساعديه
نم بقلبي مرثية... لغرام
مات قبل الصباح في ضفته

ظمآن للألوان والعطر
 لخمرة يصرعني وهمها
 إلى أب حان وأم لها
 لقبلة مشبوبة نارها
 لمنصت أفضي له مسهباً
 لضحكة مجنونة أرتمي
 ظمآن للري وما حيلتي
 سيزيف قد كان ولم يزل
 ترمقه عن كثر حسرة
 والنجم من عليائه ساخراً
 وهو على صخرته منحني
 وللغرام العاصف المر
 لغير ما في الخمر من سكر
 أث همي دون ما عسر
 تحرق ما يلمسه ثغري
 ما لست أدريه وما أدري
 من بعدها ميتاً من الذعر
 والجذب عقبي حبي العذري
 يهّم بالشكوى ولا يحري
 غوارب الأمواج في البحر
 يرمقه بالنظر الشزر
 تهوي به من قمة الدهر

* * *

ظمآن للموت وما ضربي إن متّ مطوياً على سرّي؟

من أغاني المهد

نامت عيون النجم وامتقع الليل
نم يا حبيبي نم يغمرك الظل
والطيب والظل

جنية الأحلام عادت من الغابه
تهدي إلى من نام حلوى وشبابه
جنية الغابه

صديقك البلبل على حنيني نام
فلم ترى تعول ودونك الأحلام
حياتنا أوهام

أبوك في الوادي يصارع التنين
خنجره الصادي ملطخ بالطين
أبوك والتنين

والريح في الغصن تعبت في حسره
هذا الشذا مني وأنت لي زهره
على فمي زفره

نامت عيون النجم

مصرع بلبل

قالوا الهوى زهره تخليه نظره
عبيره خالد ما بقيت زهره
فأين ذاك الهوى من هذه الزهره

* * *

في قفص من ذهب موحش
أسرت هذا البلبل الملهما
ولم يزل يرسف في قيده
حتى استساغ القيد واستسلما
وأى ضير من ظلام الهوى
إن أيفظت أصفاده النوما!
وأى ميت راودته السمنى
ولم يفق من قبره مغرما؟
فكيف بالبلبل إن شفاه
- ودونه الجدول - برح الظما!
وهل قيود السجن مسطبعة
أن تحرم البلبل أن يحلما؟
ساهر ك الليل وغنى به
فأرق الأنسام والأنجما
وأنت في خدر ك مأخوذة

وربما مفتونة ربما
عيناك في الأفق كأحلامها
سما بها المجهول فيما سما
كأنها ترنو إلى كوكب
يضيء قلب المخدع المظلما
والبلبل العاشق يشدو وما
في شدوه إلا عبير الدما
إن التي أطعمها قلبه
هامت بنجم من نجوم السما

* * *

يا للهوى ماتت أغاريد
ولم يزل في غصنه برعما
« ماتت » ولما يبكه طائر
وهو الذي كان لها ملهما
ماتت وكف الحب في سجنه
تمد من عليائها سلّما
غداً سينزو فوقه صاعداً
ليطفئ النجم الذي هوّما
وأنت لو خيّرت في الحب لم
ترض بحب كان لي مأتما
فلتسكتن! فالسجن قد حُطّمت
أبوابه والقيد قد حُطّما

*

كقطرة من دم جفت على صخره
ماتت عهد الهوى من غير ما حسره
يا ذكرياتي هنا خُطِّي هنا قبره

يا إلهي

يا إلهي قضاؤك - العدل - يجري
أتراه على الورى أم عليا
خبزك المشتهى وخمرك سالت
قطرة من دم على شفتيها
فاض من عطفك الحنان فهلاً
لي أبقيت من حنانك شيئاً؟
عن مغاني الهوى نفيت فؤادي
فلمن بعد نفيه عنك يحيا؟
أين عيناك يا إله الليالي
لتصب النعاس في مقلتيها
قبّة الليل صدعت من أنيني
أتراها وعت وجودي الشقيّ؟
كيف أرقى لعرشك المتعالي
أبسكر الصلاة أم بالحُميا؟
أيموت المحب يأساً ويدنو
منك من يعشق التراب الغويّ؟

* * *

يا إلهي نسيتني أفترضى
أن يوارى النسيان عبدك حيّاً؟

لا تذكريه ربما أهدي إلى عيني الأرق
 وربما أصواتنا تحملها ريح الغسق
 له فيبكي حبه المنسي ، وربما اخترق
 بحسه الماضي وما في صدره من الحرق
 ماذا على القلب إذا بحب غيره خفق؟
 نافذة كنت له منها رأى ضوء الشفق
 رأى أسارير الضحى وفيه لا فيّ احترق
 وكنت مرقاة له له إلى ذاك الألق
 خذي اقرئي أشعاره إني منها في غرق
 أحس فيها ولهاً بالنور لا فيمن عشق
 وهل يظن الوردة العذراء تزكو بالعبق
 والنحل في مرقصها يهفو لها لا للورق

* * *

إيه يا خاتم «الخطوبة» حدّث
 ذلك الطيف عن غرامي الحزين
 حدث النجم ربما تتلاقى
 في سنا النجم عينه بعيوني
 حدث الذكريات فهي عزائي
 وبها كل صبوتي وفتوني
 حدث الفجر، قل له إن ليلي
 أطفأت شعلة الصبا في يميني

حدّث العاشقين طراً بأنّي
لم أدعها ولم أكن بالخؤون
لم أكن غير رائد من بلاد
طمس الحب أهلها بالظنون
بالنضار المعبود بالدم يجري
تحت فردوس غاصب مافون
قل لليلى وأين تسمع ليلى
والضحى دونها وليلىّ دوني
قل لها دمعة الإباء ستحيي
ميت الحلم في جفون السجين
ذلك النجم قل لها سوف يخبو
نوره ذات ليلة أو حين
فتعودين قطرة من عبير
في أباريق شاعر مجنون
لرعاع السماء تسقين خمراً
وتعودين عشبة للحزون

* * *

كيف يا خاتم الخطوبة أخفت
عنك حبي وحيرتي وشجونني
ولظى ثغرها هتاف بروحي
وجراح على فمي وجبينني
ألأني عبد كباقي السبايا
بدموع العبيد أرهق طينني

القضاء البهيم والموت حظي
إن بصقت على الأولى أرهقوني
والورود التي على نعش حبي
أرضعت من دماء قلبي الطعين
سوف تمسي إكليل حب مريض
وفرأشاً لعاهر وهجين
أبوسع السجون قبرك حياً
أيها الحب هل بوسع السجون؟
سأنادي من ظمتي سأنادي
كل نجم يخبو وكل .. دفين
وأذّر الرماد في وجه حبي
فغرامي على الثرى مات دوني
وأغني على ضريح الخطايا
« للضيء البنفسجي الحزين »
لسبايا الحب الطريد لنفسي
لصباحي الطريد بل لجنوني

* * *

أحتاه ريح عابر ينفخ في ناي القصب
في غابة سوداء لا يحكمها إلا الذهب
المال فيها خالقُ الناس وإن كانوا خشب
فكيف لا أذكره وهو عن الغاب هرب
ذباله مذعورة الزيت فيها قد نضب
مرّبها الرعيان في الليل وقد داسوا اللهب
نوافذ مغلقة تثير في نفسي العجب

أمام رب الدار أم من برجها العالي وثب؟
ما زال يهواك وإن مع الأعاصير ذهب
خياله يطفو على جفني وإن عنك احتجب
إلهه المقتول في كفيه قيثار خشب

أحلام شاعر

وما ذلك الحالم المنزوي
بصومعة الفكر إلا خيال
يحس بصوت الحياة البغيض
يناديه في قسوة أن تعال
فيمعن في حلمه ساخرًا
بأطيافها الشاحبين الثقال
بمهزلة قيل عنها الشروق!
بأفكوهة قيل عنها الزوال!

* * *

لياليه فجر ومن صمتها
يحوك الأغاني .. أغاني الغزل
ويحيا على قبل من خيال
ويشمل منها كأشهى القبل
وأحداقه في الهزيع الأخير
ترى ما يراه بضوء الطفل
وتخترق الغيب والمنتأى
بأجنحة من لهيب الأمل

* * *

وإن رقص الفجر بين التلال
ومرت يدها على الصومعة
وهومت الأعين الساهرات
على وقع أقدامك الموجهة

ورددت الأرض يا شاعري
علام الركون لهذي الدعة
تعال مع الريح بين التلال
تعال مع الموت والزوبعة

* * *

تعال نُشيد بأحلامنا
على شاطئ الحب كوخاً جميل
نوافذه من دموع الضحى
وأستاره من لهات الأصيل
وموقده قبلُ يصطلي
عليها ملاك هوانا النيل
فنسى الوشاة وما أرجفوا
علينا ونسى التراب الذليل

* * *

ألا من سبيل ؟ ألا من خدين ؟
يقود خطاي لكوخي البعيد
أأقضي وهذا القطيع البليد
سيدفتني في ثراه البليد
وبيكي عليّ ببضع سطور
مشوهة كأغاني العبيد
ويسلم فكري وإبداعه
إلى جدث بارد من جليد

وفي الجزر النائيات التي
تلوذ بها آلهات البحر
ويكتنف الليل غاباتها
ويحجب عنها ضياء القمر
سيسمع ألهاني الصائدون
تغني بها الريح بين الشجر
فتخشع أبصارهم هيبة
لروح خفي أهاج الذكر

* * *

وفي واحة الحب حول القلب
وتحت ظلال النخيل الحزين
سيسمع أصداءها العاكفون
على وحشة اليد والذاهلون
فتهمس « ليلي » إلى « قيسها »
ألا في الهوى كل شيء يهون ؟
ويبكي السراب على شاعر
وراء السراب أطال الحنين

* * *

وفي ظلمات الخريف الكئيب
وحول لهيب الشتاء الطويل
سيقرا ديواني الحالمون
وينشد شعري هزار الحقول
فيهتف في سره عاشق
ألا ليتني مثل هذا أقول

وأما التي في ثلوج الهوى
فتسأل حيرى وماذا تقول !

نهاية

أنا والزمان سنلتقي
في ذلك الدير البعيد
حيث العيون الظامئات إلى الجديد
تبكي وتساءل كيف مات تشوقي؟
فأعود أرسم في الجدار خيالها
وأعود أمحوه
وأرسم من جديد
ظل المحال وأستعيد
وهناك حيث الهاربون من القيود
سأظل أحفر في رماد تحرقي
حتى أموت
وأعود أرسم في الجدار خيالها
فإذا الجدار هوى سأرجع كالشريد
ومعي الزمان
وجبها
لنموت في الدير البعيد

أباريق مهشمة

أباريق مهشمة

الله والأفق المُنورُ والعبيد
يتحسسون قيودهم :
« شَيْدَ مدائنك الغداة
بالفرب من بركان فيزوفٍ ، ولا تقنع
بما دون النجوم
ولِيُضرم الحب العنيف
في قلبك النيران والفرح العميق »
والبائعون نسورهم يتضورون
جوعاً وأشباه الرجال
عور العيون
في مفرق الطرق الجديدة حائرون :
« لا بدّ للخفاشِ
من ليل وإن طلع الصباح
والشاة تنسى وجه راعيها العجوز
وعلى أبيه الابن والخبز المبلل بالدموع
طعم الرماد له وعين من زجاج
في رأس قزم تنكر الضوء الطليق »
وأرامل يتبعن أشباه الرجال
تحت السماء ، بلا غد ، وبلا قيود
والله والأفق المُنورُ والعبيد

يتحسسون قيودهم :

« نبع جديد !

نبع تفجر في موات حياتنا

نبع جديد

فليدفن الأموات موتاهم

وتكتسح السيول

هذي الأباريق القبيحة والطبول

ولتفتح الأبواب للشمس الوضيئة والربيع »

المحرقة

وصنعتُ محرقتي
وكان لظى
نيرانها رثي وأعصابي
وربيعي المتوهج الخابي
ودفنت في أعماق ذاكرتي
فأسي وزوبعتي وأحطابي
وقبورَ أحبابي
وفتحت أبوابي
للنور والظلمات أبوابي
والتافهون وراء حائطنا
يرنون للموتى بإعجاب
وكلابهم تعوي وعالمنا
يصحو على أصوات حطابٍ :
« يا أرضُ ميدي بالقبور فقد
أطعمتُ للفيران أعشابِي »
وهشيمُ ألقاب
تهوي كأوراق الخريف على
أقدامه وحطامُ أنصابِ
والفأس - والنيران تاكلني -
تهوي وتهوي فوق أبوابي
مأساتنا، كبش الفداء - هنا -

كنا ومحرقةً لأحطابِ
أما الذين وراء حائطنا
يرنون للموتى بإعجابِ
فقلوبهم جيفٌ معطرة
لليع في حانوت قصابِ
ناموا على أعتاب قاتلهم
يتشاءبون طوال أحقابِ
يا أيها الجبناءُ محرقتي
ربطتُ بأفقِ الشمسِ أسبائي

الملجأ العشرون

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال
وكوحشة المصدور في ليل السعال
كانت أغانينا وكنا هائمين بلا ظلال
مترقبين الليل أنباء البريد :
« الملجأ العشرون
ما زلنا بخير والعيال
- والقمل والموتى - يخصون الأقارب بالسلام »
والذكريات الفجة الشوها تعبر والخيام
والريح والغد والظلام
كوجوهنا غب الرحيل :
« أماه ! ما زلنا بخير » والذئاب
تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد :
« يا إخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! ليل السعال
وبريدنا الباكي المعاد
لا شيء يُذكر لم تزل (يافا) وما زال الرفاق
تحت الجسور وفوق أعمدة الضياء
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراق
على حوائطها القديمة واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد

« من ههنا أماه ! أعواد المشانق والحريق
من ههنا بدأوا ونبداً والطريق
وعرّ طويل
لا عاش رعيديّ ذليل »
(يافا) نعود غداً إليك مع الحصاد
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبرّات
والأمهات
« الملجأ العشرون
ما زلنا بخير والعيال .
والإخوة المتشردون
من قبونا النائي يخصّون الأقارب بالسلام » .

صخرة الأموات

- نامي !
وقبل شعرها
- أختاه نامي !
بينني وبين سمائك الزرقاء
أجيال من البؤساء
نامي !
صمّ عن الدنيا بلون الخوف
كانوا ، والرغام
عاشوا على الأوهام
كالديدان تنهش في الرمام
أحياؤهم موتى
وموتاهم خفافيش الظلام
لم يعرفوا نور السماء
ولا تباريح الغرام
أما نساؤهم
فجرذان تعيش على الهوام
بينني وبين سمائك الزرقاء
صخرتهم
فنامي !

مسافر بلا حقائق

من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان
تجت السماء ، وفي عويل الريح أسمعها تناديني : « تعال » !
لا وجه ، لا تاريخ . . أسمعها تناديني : « تعال » !
عبر التلال
مستنقع التاريخ يعبره رجال
عدد الرمال
والأرض ما زالت ، وما زال الرجال
يلهو بهم عبث الظلال
مستنقع التاريخ والأرض الحزينة والرجال
عبر التلال
ولعل قد مرّت عليّ . . . عليّ آلاف الليال
وأنا - سدى - في الريح أسمعها تناديني « تعال » !
عبر التلال
وأنا وآلاف السنين
متائب ، ضجّر ، حزين
من لا مكان
تحت السماء
في داخلي نفسي تموت ، بلا رجاء
وأنا وآلاف السنين

مثنائب ، ضجر ، حزين
سأكون ! لاجدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان
الضوء يصدمني ، وضوء المدينة من بعيد
نفسُ الحياة يعيد رصف طريقها ، سأم جديد
أقوى من الموت العنيد

سأم جديد
وأسير لا ألوي على شيء ، وآلاف السنين
لا شيء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين
وحلّ وطين

وعيون آلاف الجنادب والسنين
وتلوح أسوار المدينة ، أي نفعٍ أرتجيه ؟
من عالم ما زال والأمس الكريه
يحيا ، وليس يقول : « ايه »
يحيا على جيف معطرة الجباه

نفس الحياة
نفس الحياة يعيد رصف طريقها ، سأم جديد
أقوى من الموت العنيد
تحت السماء

بلا رجاء
في داخلي نفسي تموت
كالعنكبوت

نفسى تموت
وعلى الجدار

ضوء النهار
يمتصّ أعوامي ، ويبصقها دماً ، ضوء النهار
أبداً لأجلي ، لم يكن هذا النهار
الباب أُغلق ! لم يكن هذا النهار
أبداً لأجلي لم يكن هذا النهار
سأكون ! لا جدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان

يا ليالي الحرمانِ في كوخِي النَّائي
ويا خيبةَ الحقولِ الحزينه
موسمُ الحبِّ والحصادِ سيبقى
حلماً ترقبُ العيونُ فتونه
أنا روّيتُ بذرتي بدمائي
وتجاهلتُ أنها مسنونه
وتعهدتها وكنت ليأسي
أتمنى بأن تظل دفينه
الربيعُ الربيعُ مرّ عليها
وسبى روحها ومرّ: «لعينه!»
وعصافيرِ قرّيتي سلبتها
كل ما كنتُ واهماً أن تكونه
وعلى قبرها الكئيبِ تلاقى
سارقُ القوتِ من يدي والضعيفه
ها هنا عالمٌ يجوع لتلهو
في مقاديرِ عيشه طاحونه
وهنا تُطرقُ السنابلُ خجلى
من تداعي هياكل موهونه

باعت الأرض روحها - وتأبَّتْ
أن تعي بوَسها لوحش المدينة
يا ليالي الحرمان ! ماتت وعشنا
بعدها نرقب الردى في سكينه
وغداً ينش الخريف ثراها
ليذري قشورها المسنونه

فيت مين

... وكرتة العصفور صوتك لا يزال
في ليل باريسٍ يناديني : تعال !
في ليل باريس : تعال !
حيث البغايا الشقر والعمات والمتسولون
وضريح «ميرابو» و روبسيير والفكر المهان
تحت النعال وصوتها في ليل باريسٍ : تعال !
والثلج والعمات والمتسولون
وسعال طفلتنا المريضة ، والبواخر ، والزمان
وصليب ثورتنا القديم :
« حرية . عدل . مساواة » يُلوثُ في دماء الأبرياء
إخواننا الشرفاء في الإبداع ، والغد ، والمصير
وطلائعُ الثوار تقتحم الحصون
وأنا وأضواء الحرائق والجنود
وراء خط النار ، جرحى ، يائسون
« سوزانُ » طفلتنا تموت
في ليل باريس ، وأضواء الحرائق والجنود
والثائرون
بحرابهم ، أبداً ، برشاشاتهم يتقدمون
وحينهم ، نحو اللظى ، يتقدمون

المارد الجبار في أعماق آسيا يستفيق
من حلمه القلق المُميت
وعلى مياه الأنهر السوداء تطفو، والتلؤلؤ
جثثُ الخيولُ
وظلائع الثوار تعدم بالرصاص الخائنين :
« وحقَّ أسماء الكلابُ
لا مجدَ تحت الشمس
إلا مجد أبناء الحياة
والخبز والحرية الحمراء والغد والمصير
باريس يا بلد الظلام
العاهر الملعون « هتلر » لا يزال
لا مجد إلا مجد أبناء الحياة
والخبز والثوار ، يا بلد الظلام ! »
وأنا وأضواء الحرائق والجنود
وحصون « لاؤوس » المنيعة ، واللظى والثائرون
بحرابهم ، أبدأ ، برشاشاتهم ، يتقدمون :
« الموت للمستعمرين !
يا أنت يا « لاؤوس » يا غاب العبير !
في قلب ماردنا الكبير
الموت للمستعمرين ! »
وأنا ، وصوتك لا يزال
في ليل باريس ، يناديني : تعال !

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم
وعاد أولهم ينعي على الثاني
وسارق النار لم يبرح كعادته
يسابقُ الرياحَ من حانٍ إلى حانٍ
ولم تزل لعنة الأبياء تتبعه
وتحجب الأرض عن مصباحه القاني
ولم تزل في السجون السود رائحة
وفي الملاجىء من تاريخه العاني
مشاعلُ كلما الطاغوتُ أطفأها
عادت تضيء على أشلاء إنسانٍ
عصر البطولات قد ولّى وها أنذا
أعودُ من عالم الموتى بخذلانٍ
وحدي احترقتُ ! أنا وحدي ! وكم عبرت
بي الشموسُ ولم تحفلُ بأحزاني
إني غفرتُ لهم
إني رثيتُ لهم !
إني تركتُ لهم
يا ربَّ أكفاني !
فلتلعب الصدفَةُ العمياء لعبتها

فقد بصقت على قيدي وسجاني
وما عليّ إذا عادوا بخيبتهم
وعاد أولهم يعني على الثاني

ريح الجنوب

عينُ السجينِ
من قبوه الأرضيِّ ، للنجم الحزين
من قبوه الأرضيِّ تضرع - والمصيرُ يرّوعه - عينُ السجينِ
وشذا الخمائلِ والصخورُ
وصدى القوافلِ والطيور العائدات من الجنوبِ
بعدَ الغروبِ
تأوي إلى برج المدينة والقوافلِ والدروبِ
الليل أدركها ، وللنجم الحزين
عين السجينِ
من قبوه الأرضيِّ تضرع ، والمصيرُ
والليل والنجم الحزين على الغديرِ
الريح تطمسه ، وفي القفر الوعيرُ
كنا نسيرُ
كانت قوافلنا بلا نجمٍ ، وقد كنا نسيرُ
ما كانَ لا ، عبثاً يكون
لا ! لن يكونَ
كلماتنا ستدكُ جدرانَ السجونِ
وتضيءُ للموتى منازلهم وتكتسحُ الطغاةُ
بحروفها المتوهجات
كلماتنا ! ما كانَ لا ، عبثاً يكونُ
يا أرضُ ، يا أمَّ الجميعِ ، ستهرمينَ ! ولا يكونُ

ما كان ، يا أمّ الجميع ، ستهرمين ! ولا يكون
كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نعيد
صلواتنا الخرساء للصبح البعيد
كنا نُعيدُ

صلواتنا ، يا أمّ ، للصبح الجديد
ووراءنا تعوي الكلاب ، ومن بعيد
أرضُ العبيد

كانت تلوح كما نريد
البرجُ فيها مائلٌ ، والأفق تصبغه الدماء
كنا ظمَاءُ

حتى نسينا أننا كنا ظمَاءُ

وعلى رصيف المرفأ المهجور ، كانت غمغماتُ
أطفالنا ونسائنا المتهللات
حتى نسينا أننا كنا عرأةُ
يا أمّ ! عاد أسمعِين

نجواهُ في الريح الحزين
وتفرّ من عين السجين
بعض الدموعُ

وشذا الخمائل والصخورُ

وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبُ
لبيوتنا تأوي ومن نائي الدروبُ

أصداء قافلة تغني ، إنها : ريح الجنوب
وشذا الخمائل . . . إنها : ريح الجنوبُ

يا أمّ ! عاد أسمعِين

وتفرّ من عين السجين
بعض الدموع
وفي الدروب
أصداء قافلة تغني ، إنها : ريح الجنوب !

حُبُّهَا كَانَ . . . وَفِي قَرِينَتِنَا
يَدْعِي الْعَرَّافُ : « أَنَا عَاشِقَانُ »

آه لَوْ عُذْنَا إِلَى الْحَقْلِ لَمَّا
طَرَدْتَنَا الرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

أَرْضَهُ السُّودَاءُ وَالْمَحْرَاثُ فِي
صَدْرِهَا بَاقٍ ، كَمَا بِالْأَمْسِ كَانَ

وَالْعَصَافِيرُ عَلَى نَدْرَتِهَا
لَمْ تَزَلْ تَوْنِسُ غَابَ السَّنْدِيَانُ

وَالرَّبِي لَمَّا تَزَلْ شَاحِبَةٌ
فُلَّهَا يَسْأَلُ عَنَا الْأَقْحَوَانُ

آه لَوْ عُذْنَا ، لِقَبَلْتُ ثَرَى
أَرْضَهُ ، وَاحْتَضَنْتُ رَأْسِي يَدَانُ

وَلطَوَّفْتُ عَلَى أَكْوَاخِهِ
سَارِقًا نَوْمَ الصَّبِيَّاتِ الْحَسَانُ

مَوْقِظًا مَنْ كَانَ لَيْلِي لَيْلُهَا
وَإِلَيْهَا كَانَ يَدْعُونِي الْحَنَانُ

وَإِلَى الْبَدْرِ نَمْضِي خَلْسَةً
عَنْ عَيُونِ الْأَهْلِ نُصْغِي لِأَغَانُ

لأغاني الحاصد العائد من
كوخه النائي المُغشى بالدخان
أُتراها لم تزل تذكرُ مِنْ
عمرها يوماً به كانت وكان؟
يوم ألقته على الأرض وقد
نامت القربةُ عَنَّا والزمانُ

الشمس ، والحممر الهزيلة ، والذباب
وحذاء جندي قديم
يتداول الأيدي ، وفلاح يحدق في الفراغ :
« في مطلع العام الجديد
يдай تمتلئان حتماً بالنقود
وسأشتري هذا الحذاء »
وصياح ديك فرّ من قفص ، وقديس صغير :
« ما حك جلدك مثل ظفرك »
و « الطريق إلى الجحيم
من جنة الفردوس « أقرب » والذباب
والحاصدون المتعبون :
« زرعوا ، ولم نأكل
ونزرع ، صاغرین ، فيأكلون »
والعائدون من المدينة : يا لها وحشاً ضريراً
صرعاه موتانا ، وأجساد النساء
والحالمون الطيبون »
وخوار أبقار ، وبائعة الأساور والعمود
كالخنفساء تدب : « قبرتي العزيزة » يا سدوم !
لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر العشوم
وبنادق سود ومحراث ، ونار
تخبو ، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس :

« أبداً ، على أشكالها تقَعُ الطيورُ
والبحرُ لا يقوى على غسلِ الخطايا ، والدموعُ »
والشمسُ في كبدِ السماءِ
وبائعاتُ الكرمِ يجمعنَ السلالَ :
« عينا حبيبي كوكبانِ
وصدرُهُ وردُ الربيعِ »
والسوقُ يقفر ، والحوانيتُ الصغيرةُ والذباب
يصطادهُ الأطفالُ ، والأفقُ البعيد
وتتاوَبُ الأكواخِ في غابِ النخيلِ

مهلاً! هناك أرى مدينتهم
 تنهال في طرقاتها الظلم
 مرضى ، وثرثارون ، غائرة
 أحداقهم ومطاعمٌ ودمٌ
 صبغوا به - خوفاً - نوافذهم
 وتقمصوا أسلافهم ، وهُمُو
 للاله الصماء قد سجدوا
 وبربها المشؤوم قد حلموا
 قالوا : « الجدار! غداً سنهدمه
 برؤوسنا التعبى ، وننهدمُ
 ونُعيد للموتى قداستهمُ
 فيسودنا من نسلهم صنمُ
 يأوي البنونَ إلى حظيرته
 وتشدهم في ركبهِ قيمُ
 قيمُ مياهُ الحقدِ تحملها
 من شاطيءٍ جذبٍ ، فتنحطمُ »
 وهناك! مهلاً! ثم محرقةً
 ملأ البيوتَ دخانها النهمُ
 هبط الظلام ونارها أبداً
 مجنونةً حمراء تضطرمُ

« مامون »^(١) والدولار يدعمه
- بإزائها - والفكر والعدم
وصبيّة تبكي ، ومركبة
يسطو على حوذيتها خدم
وأرى بغايا ينتحبن على
حُبّ تدوس رفاتة قدم
وعيون شحاذ ملوثة
ودماً يسيل ، وباعة وجموا
من أين ؟ والأمطار تحجبهم
عنا وسقف الليل ينهدم
إنا هجرناهم ، وليس لنا
في أرضهم بعث ، ولا رمم

(١) مامون : إله المال في الميثولوجيا اليونانية .

غليونه القدرُ المدمى والضبابُ ،
وكوة الحان الصغيرُ

ورفاقه المتأمرون يثرثرون :

« البحر مقبرة الضميرُ »

ويقلبون كؤوسهم ويقهقهون :

« هذا العجوز ألا يكف عن الشخير ؟ »

والليل والحان الصغير

ورفاقه والخمر والدم والضبابُ

صورٌ تعود به ، تعود إلى الوراثة

إلى جزيرته وشاطئها والاف السفائن ، والرجال

والمومساتُ

بثياهن الباليات

يجمعن أعواد الثقاب

وينتظرن على الرصيفُ

والسحب تبكي والخريف

في أخريات الليل ، والبحر الغضوب

ورفاقه المتأمرون

عما قريب يُقلعون ، ويتركونُ

هذا العجوز

للخمر والدم والضباب

والنوم والحان الصغير

ليستعيد!

وأى ذكرى يستعيد

هذا العجوز

أفضائح الأمس القريب أم البعيد ؟

في الشرق ، في أرض المعابد والكنوز

حيث القباب ، وحيث آبار الزيوت

يتلاقيان على صعيد

وحولها شعب يموت

ليستعيد !

وأى ذكرى يستعيد ؟

هذا العجوز

واللطفة السوداء في تاريخه الدامي اللعين

كالنار باقية تثير الخوف والحقد الدفين

في قلب افريقيا وفي الكنج المقدس ، والقنال

حيث الرجال السمُر تحت الشمس يقتحمون إعصار المنون

ويصنعون

تاريخهم ، ويدافعون

عن الحضارة ، والغد المأمول بالدم والدموع

وحيث صحراء الصقيع

والثائرون

والريح تُعول في الخنادق والجنود

يتساءلون : « متى نعود ؟ »

ويظل « لص البحر » يضحك ، والسماء
تبكي وتبكي والخريف
والمومسات على الرصيف
يجمعن أعواد الثقاب
وهؤلاء ، وهؤلاء
يتساءلون : « متى نعود ؟ »
ويظل يضحك ، والسماء ، وهؤلاء
يتساءلون ، وفي الضباب
غليونه القدر المدمى ، والرفاق العائدون يثرثرون :
« البحر مقبرة الضمير »
والليل والحان الصغير

صَلِّيْ لِأَجْلِيْ !
عَبْرَ أَسْوَارِ
وَطَنِي الْحَزِينِ ، الْجَائِعِ ، الْعَارِي
وَعَلَى رَصِيْفِ الْمَرْفَأِ أَنْتَظِرِي
- يَا كُوكِبِي السَّارِي
وَحَدِيثَ سَمَّارِي -
قَلْبِي مِيَاهُ الْبَحْرِ تَحْمَلُهُ
تَفَاحَةٌ حَمْرًا . . . كَتَذْكَارِ
وَعَبِيرُ آذَارِ
رَرْفَاقُ أَسْفَارِي
يَتَلَمَّسُونَ طَرِيقَ عَوْدَتِهِمْ
وَرَسَائِلِي وَأَبِي وَأَزْهَارِي
وَكَلْبُنَا الضَّارِي
يَعُوِي ، وَعَيْنَا شَيْخِ حَارْتِنَا
مُصْلُوبَتَانِ عَلَي لُظَى النَّارِ
وَشَجِيرَةُ اللَّيْمُونِ يَسْرِقُهَا
مَهْمَا تَعَالَتْ ، صَبِيئَةُ الْجَارِ
. . . وَكُفْبَرَاتِ الصَّبْحِ ، هَائِمَةٌ
وَالْمَوْتِ وَالنَّارِ
سَتَظَلُّ أَفْكَارِي

تعلو وتعلو عبر أسوارِ
وطني الحزين ، الجائع ، العاري
وأنا وأطماري
في غربة الدارِ
وحدي بلا حبٍّ وتذكاري

يا ملاكي الصغيرُ
 والبكاء المريزُ
 والطريقَ الأخير
 يا ملاكي الصغير
 عشبةً في الهجير
 باللّظى تستجير
 في انتظار المصير
 الضمير الضميرُ

هل عرفتَ الألمَ؟
 والهوى والندمُ!
 وخبثَ السأمِ!
 هل عرفتَ الألمَ؟
 لعنتها الدّيم
 والسرابِ الأصم
 أطرقت ثم لم...
 - يا لكذبِ الرّمم-
 زَيْفَتِهِ الْقِيم

لن تعودَ النسورُ
 فالتّرابُ الحقيقير
 فاهزأي يا قمم
 عند موتى الذمم
 بطلُّ أو صنم

يا ملاكي الصغير
 «بعد كدّ المسير»
 لعيون الأسير
 وخطايا غدير
 وجناحٍ كسير

هل عرفتَ الألمَ؟
 كم تراءت حُممُ
 في صحاري العدم
 ورؤى لم تنم
 وبقايا نغم

ليس بعد الظلم
 وغبارِ القدم
 غيرُ وادٍ وعير

ورمادِ المصيرِ وفراغِ ودمُ
يا ملاكي الصغير هل عرفتِ الألمَ؟
وثلوجِ القممِ

طريق الحرية

عبر الصحارى الموحشات ، ترن أجراس الحياة
في الليل معلنةً : « بأن عدوها الممقوت مات »
وإلى المدائن والقرى المتناثرات

عبر الصحارى الموحشات
ينسل ضوء الفجر أقوى من ينابيع الحياة
وتهب أطياف العبيد من السبات :

« نحن العرأة
بالأمس سخرنا الطغاة
لبناء هذي السخريات »

ومن القبور الصامتات

للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة

وعلى المعابر في الجليد
تنساب أطياف العبيد

وصدى الرنين ، من البيوت ، ومن بعيد

ينهال مفترساً بقايا الخوف والعجز المبيد :

« نحن العرأة

بالأمس سخرنا الطغاة

لبناء هذي السخريات »

ومن القبور الصامتات

للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة

وتهب عاصفة فتدفعهم إلى قلب المروج
وتظل أجراس الحياة ترن ، والوادي يموج
والفجر يصبغ بالدم الطاغي أكاذيب البروج

ولمحت في عينيك
إنساني
الضائع ، المتهافت ، الفاني
ذئباً يدب إلى كنوزك في
أعقاب ليلٍ :
« كان إنساني ! »
وتغمغمين :
« . . . وكان يهواني »
ومن الظلام تفوح أغنيةُ
يلغو بها المذيعُ في حانٍ :
« كترى الوحيد
حمامتي ، حلمي !
يا أخت قلبي المظلم الجاني ،
يا نارَ أشجاني !
ردي عليّ ، عليّ إنساني »
وتناثرت خصلُ معطرةُ
وعلى السرير أنهد ظلالين
وعواء حيوانٍ
وتغمغمين ، وأنت شاحبةُ
مسحوقَةٌ : « . . . وغداً سينساني ! »

ويغوص في نهديك مخلبه
ويموت في عينيكِ
إنساني

عشاق في المنفى

- وأنا . . .

- وأنتَ ؟

- أنا وحيداً !

كقطرة المطر العقيم ، أنا وحيد !

- وهؤلاء ؟

- مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدارُ

مثلي ومثلك مُقبلون على انتظار

مَنْ لا يعود

وأنا وأنتَ وهؤلاء

كالعنزة الجرباء أفردها القطيعُ

لا نستطيع . . .

وإذا استطعنا ، فالجدارُ

والتافهونُ

يقفون بالمرصاد ، كالسدِّ المنيعِ

لا نستطيع . . .

وأنا وأنتَ وهؤلاء

والتافهونُ

والشمسُ في الطرقات تحتضن البيوت

فتُثير في النفس الحنينَ إلى البكاءِ

وهناك في قُللٍ من الفخار أزهارُ تموت

والشمس تحتضن البيوت . . .
وقديمٌ أغنيةً ، وأطفالٌ بها يترنمون
وباعةٌ متجولون
والتافهون يساومون على رفاتٍ
نسر صغير
- سَمَاهُ بَائِعُهُ « ضَمِيرٌ » -
وأنا وأنتَ وهؤلاء
كالعنزة الجرباء ، أفردها القطيع
بلا ربيعٍ
بلا ربيعٍ أو بيوت
من الشروق إلى الغروب
ومن الغروب إلى الشروق
نبقى ونبقى في انتظار
مَنْ لا يعودُ
لا شيء ينبض بالحياة
في هذه الجُدر البغيضة والدروبُ
يا أيها التعساء ! - في هذي الدروبُ
لا شيء ينبض بالحياة
هنا . هنا العدم الرهيب
لا شيء . . . والعدمُ الرهيب
والشمس تغرب والبيوت
- يتشاءب - الأطفالُ في أبوابها يتشاءبون
والتافهون يساومون ويهرفون :

« بيعُ النسور !
أجدى من القُللِ الدميمةِ والزهورِ »
وأنا وأنتَ وهؤلاءِ على انتظارِ . . .
والليلِ يتبعنا ككلبٍ جائعٍ عبرِ الجدارِ

السجين المجهول

عبرَ بابِ السجينِ ، عبرَ الظلماتِ
كوخنا يلمع في السهل ، وموتي ، والنجومُ
وقبورُ القريةِ البيضاءِ ، والسورُ القديم
وقيودي وهواها
وطواحينُ الهواءِ
وبطاقاتُ البريدِ :
يارفاقي في الطريقِ
عبرَ بابِ السجنِ ، غنّوا ، يارفاقي
لم يزل عالماً يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ
يارفاقي ، والنجومُ
وطنين النحل في مقبرة القرية ، غنّوا !
والعصافير إلى سرّوتنا الخضراء ما زالت تحنّ
لم يزل عالماً أروع ممّا
حدّثونا عنه ، ممّا صوّروه
في الأساطير لنا ، أروع ممّا صوّروه
لم يزل يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ
يارفاقي في الطريقِ
ومسرات ليالينا العميقة
والطواحين العتيقة
عبرَ بابِ الليل ما زالت ، وما زلت بسجني

سنواتٌ أربعُ مرت ، وما زلت بسجني
ورفاقي يحرثون الأرض في الشرق البعيد
وأنا ما زلتُ في السجن ، أغني
وقيودي وهواها
وبطاقات البريد

القرية الملعونة

بالأفق المفقود ، قالوا : « غداً نُلهي رقيق الضيعة التائهة
الدم ، والأرضُ بقربانها ، جادتْ ! فأين الخبزُ والآلهةُ ؟ »
النَّيرُ والمِحراثُ والثورُ الجريحُ على الثلوجِ
يغفو ، ليحلمَ بالسواقي والمروخِ
والحقلُ أخفته الثلوجُ
عن زارع الورد الحزين
إلا كمينَ
ما زال ينتظر الثعالبَ واللصوصَ الجائعينَ
والسنديانةُ ما تزالُ على طريق العابرين
يقطى ، توسدُ جذعها المنخوبَ ، أفاقَ طريقِ
السنديانةُ والجليد . .
غطى طريقَ القرية المصبوغَ بالدم ، والكمينَ
ما زال ينتظر اللصوصَ الجائعينَ
وهناك عبر الحقل ، أكواخُ تنام وتستفيقُ
عبر الطريقِ
بشرُّ ينام ويستفيق
بشرُّ ينام مع الدواب السائبات على سواء
ما دام ينعم بالثراء
ابنُ السماء
« العمدة » المرهوبُ ، والخبزُ العريقُ

- حلمُ الملايين الجياع من الرقيق ،
وَلِمَ الشهيقُ ؟
الخبزُ تُنضجه السياطُ الدامياتُ لِمَ الشهيقُ ؟
وَلِمَ العويلُ ؟
غداً الرحيلُ !
عن هذه الأرض الخبيثة - لعنة العيش الذليل -
حلت بجيلٍ بعد جيلٍ
غداً الرحيل
والعمدةُ المرهوبُ يمسح بالسياط ، دمَ الظهورِ
كتلٌ مشوهةٌ تدورُ
حول الزرائب ، والقبور النائمت على القبور .
أصواتها النكراء ، تقطر بالدم المزرق ، بالدم
إذ تدور
كتلٌ مشوهةٌ تدورُ
وتعود تنبش في المزابل والقبور
ليظل طاغيةُ العصور
بالويل يُنذر والثبور
- بشراً يعيش مع الشياهِ ، مع الشياهِ -
ان رنقت عيناهُ في نهر الحياهُ
والسنديانة في الثلوج السود ، والثور الجريحُ
يغفو ، وأشباح اللصوص ، هناك تغدو أو تروح

أفسى من الموتِ تمنحني قلبها
وبعدها، بعدها بالأمس كان الهوى
واليومَ لم يبقَ لي وحدي؟ بلا موعد
تغمزني وحشةٌ قاحلةٌ، سبخة
يجفّ في تيهها عمود ملح بها
بالأمسِ كان الهوى واليومَ لم يبقَ لي
مقتي لها مقتي لتشتري صمتي
لا يأسَ من موتي يُضيء لي بيتي
إلا الذي شئتِ أصيح : « يا أنتِ »
والليلُ لم يأتِ ضائعة الوقتِ
على فمي صوتي كنتِ ! أجل كنتِ
يضيء لي بيتي إلا الذي شئتِ

ذكريات الطفولة

بالأمس كُنّا، آه من كنا : ومن أمسٍ يكون
نعدو وراء ظلالنا . . . كنا ، ومن أمسٍ يكون
لا نرهب الصمّتَ الذي تُضفيه أشباحُ الغروبِ
فوق الحدائقِ والدروب
لا نرهب السورَ الذي من خلفه يأتي الضياءُ
ولربما مات الضياء ولم يَعدْ ونقول : « جاء! »
كنا نقول كما نشاء
حتى النجومُ
كنا نقول بأنها - كانت - عيونُ
للأرض تنظر في فتون
حتى النجوم
كانت عيون
لا نعرف « الشيء الصغيرَ » ولا نُصدّق ما يقالُ
ولا نزال
لا نعرف الشيء الصغير ولا نصدق ما يُقالُ
ولربما كنا نحدّق في الفراغ ، ولا ننام
وفي الظلام
مأوى العفاريت الضخامُ

كانت مدائننا الجديدة في الظلام
بمنازل الأموات ، أشبه ، أو قرى
النمل - . . . الجديدة في الظلام -

كانت مدائننا تقام

وفي الظلام

كنا نُحدِّقُ في الفراغ ، ولا ننام
الا على أصوات عالمة المقوض ، والعييد
يتسكعون ، ومن جديد

يستقبلون - هناك - طاغيةً جديد

وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدار
بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلاً ودار
حقلاً ودار

ونطارِدُ القطط الهزيلة في الأزقة بالحجار

وإلى « الحبيبة » كان يدفعا ، ويدفعا الحنين
في بيتها نقضي أماسينا الطويلة حالمين
كنا لخلق نعالها الفضّي ، نصغي ساهمين
بعد المساء ، وبعد حين

وتثور أحقادُ السنين

فعود ، نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة
الأمس مات

الأمس مات

لم يبقَ حول « مدينة الأطفال » إلا ما نشاء
إلا السماء

جوفاء ، فارغة ، تحجّر في مآقيها الدخان
إلا بقايا السور والشحاذ يستجدي ، وأقدام الزمان
إلا العجائز في الدروب الموحشات
يسألن عنّا الغاديات ، الرائحات
ولربما مرّت بهنّ . . . بهنّ هذي الذكريات :
«السور» و«الشحاذ» و«الطفل الذي بالأمس مات»

على عالم ، نصفه ميت
فتحت عيوني ! وأطبقتُها
سماء ملوثة بالدخان
يُلاحقني ، عبثاً صوتُها
سأذهبُ . قطعانهم في الطريق
بها عاد مستهزئاً موتها
ذبائح ، ضائعة ، لا تعي
إلى الله أَلجأها قوتها
فظلت وأهرامها الشاحبات
يُؤبّن - ما تركت - صمتها

* * *

عويلٌ يلاحقني أينما
هبطتُ ، وظلّ ورائي يسيّر
هنا كفرت بالسواقي الورود
وعاشت على ذكريات الغدير
هنا الليل ! أبناؤه أطفأوا
مصاييحنا في الهزيع الأخير
هنا رفعت للسماء العقيم
قرايينها، آلهات القبور

مدالك، أعيُنهم في الحضيض
محيّرة في انكسارِ تدور

* * *

أنا عائد ! يا رفاق الطريق
إليكم ، قبيل اختلاط الظلام
هي الأرض محرأنا السرمدي
عليها سبني صروح السلام
قُرانا على السفح لما تَزَلْ
مرّوعةً بانتظار الغمام
وأطفالنا في ممشي الحقول
يسوقون أغنامهم للجمام
وفي شرقنا قرية لم تزل
يُباع بها الناس مثل السوام

الرحيل الأول

قالت : حديقتنا ؛ أتبقى في الربيع بلا زهور ؟
قلت : اهدئي بعد الربيع
سأهيم وحدي في البحار النائيات
مغني النساء الساحرات
والخمر والدم والدموع
ودليل مركبي الجسور
عينان خضراوان ، أنفاس الحياة
ليلاً تهب عليّ من حقلي البعيد
حيث الشموع المطفآت
في مخدعي المهجور تنتظر اللهب
وخيال أمي الراعش الباكي الكئيب
تومي إليّ بأن أعود
وإلى خطى ساعي البريد
تُصغي ، وتُصغي : « ليس في الدنيا جديد »
حتى الرسائل لا تُعيد . . .
« صلي لأجلي ، أنت يا أمأه من وطني البعيد »
وتظل تلثمها كأن غلافها وجهي الكئيب
وحيث إخوتي الصغار
يتساءلون : « متى أعود ؟ »

والليل يمضي والنهارُ
وأنا ، أنا وحدي أجوبُ
عرضَ البحار مع الغروب
ودليل مركبي الطروبُ
عينان خضراوان ، آلهة الربيعُ
من عالم الموتى تطل عليّ من أفق الدموعُ
إن ضاع أمسي في انتظارك أيها النجمُ السعيدُ
فغداً على الأمواج ، ايماني يعود
بك أيها النجمُ السعيد

- « لو لم تمت ! »
وحجبتُ عن عيني الجليدُ
وصرختُ من أعماق يَأسي : « لا أريد ! »
هي والسنونو والربيع ، غداً تعود
هي والوجود ، غداً تعودُ
وحجبت عن عيني الجليد ، ومن جديد
فوق الحقول ، تلاً لأ القمر النحيلُ
كذبابة حمراء ، يجنح للأفولُ
وصرخت : « لا . . . »
في وجه موتي : « لا أريد ! »
وبصقت : « لا . . . »
في وجه موتي : « لا أريد »
الباب يُفتح ، والضياء يمسّ نفسي من جديدُ
وكانما يبض تكسّر عن نسورُ
نفسي - التي كانوا أماتوها - تكسر عن نسورُ
طارت إلى أفق البكاء
« لو لم تمت ! »
وبصقت في وجه السماء
لا دمع في عيني ، وموتي ، والضياء

والباب يُفتح من جديد :
« رباهُ ! . . . » والباب المُوارب في حياءِ
نفسى تهز رتاجه المصدوع يخنفها البكاء
« رباهُ ! أحوج ما نكونُ
فقراءُ نحنُ إليك ، أحوج ما نكون
رب المساكين ، الحزانى ، الضائعين
فقراءُ نحنُ إليك ، رب الضائعين ! »
والليل ، والأنداء ، والقمر النحيل
كذبابة حمراء ، يجنح للأفول
وضحكت : « ماذا يشتهي الإنسانُ
إن ملكَ الذي قد يشتهيه ؟ »
ماذا ؟ « سوى القمر »
- . . . الذي قد يشتهيه ؟ -
ماذا ؟ وفي نفسى الرغائب تستفيق
« لو لم تمت ! »
وشرعت أعدو في الطريقُ
عبد الحياة ، أنا الرقيق
عبد الحياة يعود ، يحمل من جديدُ
جدلان ، صخرته ، إلى السفح البليد
وسخرت من نفسى : « تعود ؟
هي والربيع ، غداً تعود ! »

يا طيفها! نوافذي أغلقت
وأطفئت أنوارها بعدّها
مرّ ربيعان وعادا ولم
تحملُ إلى مقبرتي وردّها
من أين أقبلت وآبارنا
مسمومة لا نلتقي عندها
قلوبنا الظمأى وقد أجذبت
عادت إلى غربتها وحدها
تطعم روح الليل أفلادها الـ
عذراء إما جوعها هدّها
من أين أقبلت وأبوابنا
الريح فيها نفّثت حقدّها
كان لنا فجر وكانت لنا
آلهة تمنحنا ودّها
يا طالما غنيت في حبّها
وكنت في حبي لها عبدها
حتى إذا ما الأمس ولى مضى الـ
ساقى وخلقى في فمي قيدها
يا طيفها! نوافذي أغلقت

وأطفئت أنوارها بعدها
مرّ ربيعان وعادا ولم
تحمل إلى مقبرتي ودها

سكنت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزين
كالسائل المحروم ، كالحلزون
ينتظر المساء
وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين ولا
يعود
كالسائل المحروم ينتظر المساء
ولربما سيقول عنه الآخرون - ويهزأون
من سره المدفون :
« آفاقٌ لثيمٌ ! »
ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
كالبيدق المخدول
كالحلزون يحلم بالمراعي والحقول
بالشمس تجنح للأفول
وبالفيافي الموحشات ، وبالرحيل
ونبيّ قريته ، وصوت (العمدة) القاسي النحيل
وبالسنابل والربيع
ورضيع جارته الوديع
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاه الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين :

« من آخر البستان بل من آخر الدنيا
أتينا ! » فوق صوت الآخرين
وفي الطريق

البرد والعربات والليل الطويل
ومنازل الموتى ، وشحاذ هزيل
ونوافذ بيض ، منورة وآلاف النجوم
تخبو وطائرة تحوم
ويعود يحلم بالمراعي والحقول
كالبيذق المخذول ، كالحلزون
يحلم بالحقول
ويستفيق

على صدى مذياع مقهاه الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين :
« الفجر - رغم تمائم الموتى - قريب »
وفي الطريق

الليل والعربات والفجر القريب
ويعود يحلم بالفيافي والسماء
وبالمساء وباللقاء
وبقهقهات الآخرين
والباب يوصد دونه والبرد والمقهى الحزين
وبالسعال تسحه رثاه والدم والظلال
وبالرجال الضائعين
يتشاجرون ويضحكون ويوصدون

أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين ولا يعودُ
كالسائل المحروم ينتظر المساء

الظلال الهائمة

ما زلت أسمعها تغني رغم آماذ الزمان
فرحي المجنح والكتابة في غدِير عيونها يتألقان
وهوأي كان
طفلاً إلهياً على الأشواك يجبو في الهجير
صوب الغدير
حيث الحقول الشاحبات ، وحيث لا قدم تسير
أنا والهجير
صوب الغدير
أترى الظلال الهائمات وراءه وَعَتِ الغناء؟
فاسترسلت في شبه حلم ، واستفاقت للمساء
تروي أحاديث الصبيّات اللواتي كُنَّ يصطدن الرجال
بغنائهن وراء أسوار الليال
أم لا تزال
مثلي تسير
هي والهجير
لتموت في صمت الحقول بلا غدِير

تمت اللعبة

تمت اللعبة ، لا جدوى
وها نحن انتهينا !
لا تقولي ! « معك الحب »
متى كان . . . ! وأينا ؟
لا تقولي : « حظنا شاء » وداعاً ! فإلينا
ينظر (البيذق) في خوف و(صمتي) و(انتهينا)
دمية ألقى بها طفل ، بعيداً عن يدينا
قدر كان وراء الغيب ، يلهو بانطلاقي
آه لو حطمت مصباح الهوى ، قبل احتراقي
وافترقنا قبل أن نجو اللظى ، قبل العناق
ليت لا كان التلاقي !
أي جدوى من حياتي ؟
والجماد البارد المغمور لم يحفل بذاتي
أي جدوى من حياتي ؟
و(انتهينا) دفنت أشلاءها في أغنياتي
وغداً يفتتح اللعبة عشاق سوانا
فيرون البيذق الخائف لا كان هوانا
عبثاً تبكين يا بلهاء ما ليس لدينا
تمت اللعبة ، لا جدوى
وها نحن انتهينا .

لا أقولها

في فمي لا أقولها
كلمات مجنحة
كلما مرّ عابر
شيعته ملوحة
ها هنا، ها هنا قفي !
لوداعي مُرنحة
أنا للأرض عائد
من سمائي المطوحة
في ضميري مذابح
أينها منك مذبحه
كانت الأرض قبلنا
للعصافير مروحه
الأغاني طعامها
والزهور المفتحة
يا ضياعي أنا هنا
حجر ملّ مطرحة
كم تمنيت - يا أنا -
نبتت في أجنحه
فتعودين حرة

للمراعي مسبحه
أنا ماضٍ وفي فمي
قولة منك مفرحه
سيقولون عاشق
عبث الحب صوحه
كانت الأرض قبلنا
للعصافير مروحه
الأغاني طعامها
والزهور المفتحه

الحديقة المهجورة

التينة الحمقاء ، والبيت القديم
ورفيف أجنحة الفراش
وزنابق سود عطاش
تذوي ، وأسراب العصافير الجياع
ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيل
والتينة الحمقاء ، نافرة العروق
كالموس الشمطاء ، لم تبق السنون
منها سوى قش وطين
وعلى زجاج نوافذ البيت القديم
وعلى السياج ، مخالب الموت الصموت
نثرت خيوط العنكبوت
وغناء حطاب ، أبح ، يفيض من قلب السكون :
« كوريقة صفراء ، يا ريح الشمال !
عبر البحيرات العميقة ، والبساتين احمليني ، والتلال
يا أنت يا ريح الشمال »
وتردد الأصداء : « يا ريح الشمال ! »
وعلى الحوائط في اكتئاب
يتسلق اللبلاب ، أشبه بالثور
ويموء قط ، والعصافير الجياع

ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيل
ومن الممرات الطويلة ، عطر امرأة يضوع
عطر يضوع
« عادت إذن ! » ويثور في شفثيه جوع
جوع إلى لهب الأعالي والفناء
ويموء قطّ، ليس من أحد هناك سوى المساء
ويفيض من قلب السكون ، غناء حطّاب أليم :
« من ألف ألف الحياة ، عنانها بيد الرغيف
يا أنت ، يا هذا الرغيف ! لكم تخيف ! »
وتردّد الأصداء : « يا هذا الرغيف ! لكم تخيف ! »
وروائح العشب الخبيث من السواقي المظلمات
تطفو على وجه الحديقة كالنبيذ
وأرانب برية حمر العيون
تنسلّ من دغل كثيف
والتينة الحمقاء ، والبيت القديم
وزنابق سود عطاش
تذوي ، وأسراب العصافير الجياع
ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيل

القنديل الأخضر

تحت جنح الليل ، والصمت ، وأعمالي الكثيرة
وعبير الأرض والليمون والماضي وحزني
لم يعد يوقظ أحلام الصبا المخدول فياً
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عني
الفضاء القدر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيئاً
غير أنني ، كنت أقوى
كنت من نفسي أقوى
كنت أهوى
لو تلاقينا على ذلك الضياء
كفراشين ، على الأوراد غابا في عناق
واحترقنا ، أنا والماضي وعيناها
على ذلك الضياء
وعبير الأرض ، والليمون نجبو ، والسواقي
كفراشين على الأوراد ، والقرية تصحو من كراها
تغسل الساقية العذراء ، في الفجر رؤاها
والأزاهير إلى النور تُصلي ، والكلابُ
تنبح الأموات ، والليل المولي ، والهضابُ
وأنا أحلم في نافذتي ، والعطر نجبو
غير أنني ، كنت من نفسي أقوى

كنت أهوى أن أراها

سوسن الحقل يغطي جسمها العاري ، أراها
ووراء الحائط المنهار ، تستجدي العصافير غناها
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عني
الفضاء القدر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيئاً

الموت ، والإنسان من أعماق فطرته ، يُقدّم في سخاء
شاراته الأخوية ، الإنسان في ليل الصراع
شاراته في ليل (كينيا) و(الملايو) و(القتال)
في ليل (كينيا) كالشعاع
في ظلمة الغابات والمستنقعات
حيث الأفاعي والظلال
والشمس والصّبار ؛ والأفق المخضب بالدماء
والكادحون
والموت والإنسان والمستنقعات
في ليل (كينيا) والقرى والكادحون
وريفتي (ماري) تضمّد رأس زنجي جريح
وصبيّة عمياء ، تحلب عنزة ، ومن السهوب
كانوا كأسراب السنونو ، كالمداخن ، يرحلون
أبداً كآلهة الأساطير القدامى ، يرحلون
ويدفعون
عرباتهم في الطين والمستنقعات
في ليل (افريقيا) الحزين
في ليل (افريقيا) وزنجي جريح
(ماري) تضمّد رأسه والكادحون

الكادحون السود والغربان والمستنقعات
ومزارع المطاط ، والبوليس يفتك بالمئات
ومنازل البيض ، البرابرة اللثام
تغفو ، كحيوان خرافي ، عجيب
والشيب والأطفال في عرباتهم يتدحرجون
أبدًا كآلهة الأساطير القدامى ، كالظلال
في ليل (افريقيا) الحزين ، من السهوب
والنار تلتهم القرى ، وخناجر المتربصين
كالشهب تلمع في الظلام :

« أحراج - كينيا - يا ينباع الضياء !
يا كوكباً في ليل قارتنا الحزين
يهدى الرفاق السود في أفق الصراع
أحراج - كينيا - يا زنايق ، يا حراب !
(العالم الحر !) استفيقي يا حراب !
والهه - الدولار - يزحف في قرانا الخاويات »
وخناجر المتربصين

الكادحين السود ، تلمع في الظلام :
« مالان ! يا وغداً بقافلة الطغاة »

إنا سنزرع بالحراب
غاباتنا العذراء ، يا وغداً بقافلة الطغاة
ومن السهوب

(ماري) رفيقتنا تعود ، من السهوب
والموت والانسان يصنع فجره في ليل (افريقيا) الحزين

المسجد المهجور ، والليل الموشح بالنجوم
تتأهب الأشباح في أبعاده ، ويحوم بوم
طلل وبوم

ولهيب تنور ، تراقص في وجوم
- ماذا تروم ؟

مني ومن طللي سدوم !
الشوك يُورق كالصنوبر والكروم
إن باركنه يد رؤوم

- ماذا تروم ؟

نعشي ستحملة الرياح مع الغيوم
عبر القفار ، مع الغيوم
وأنا وأحلامي الكسيحة والنجوم
الشوك والأموات والطلل المصدع والنجوم
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهار
فنلوذ في ظل الجدار

عبثاً نحاول - أيها الموتى - الفرار
اليوم تنعب والدروب الموحشات
على انتظار

نبقى هنا ؟ يا للدمار !

اليوم تنعب في احتقار

بالأمس كان لنا على القدر انتصاراً
 كان انتصاراً
 واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظل الجدار
 هذي القفار ، بلا قرار
 الليل في أودائها الجرداء ، يفترش النهار
 نبقى هنا . . ؟ يا للدمار !
 عبثاً نحاول - أيها الموتى - الفراز
 من مخلب الوحش العنيد
 من وحشة المنفى البعيد
 الصخرة الصماء ، للوادي ، يدحرجها العبيد
 (سيزيف) يُبعثُ من جديد ، من جديد
 في صورة المنفى الشريد
 - ماذا تريد ؟
 « القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيد »
 - ماذا تريد ؟
 « الورد لا ينمو مع الدّم والحديد »
 طلل وبيد
 تقضي بقية عمرك المنكود فيها تستعيد
 حلماً لماضٍ لن يعود !
 حلم العهود الذابلات مع الورود
 كانت حياتك من جليد
 ولتبقَ - رغم أشعة الحب المذيبة - من جليد !
 في وحشة المنفى البعيد
 في وحشة المنفى البعيد

وشحذت سكينى وسرت بركبهم
ومذابح التاريخ تملأ يقظتي
صوراً كأوراق الخريف على الثرى
الريح تثرها كعيني ميّت
فهناك في الإيوان قاتل ظله
يلهو الفناء بتاجه المتفتّت
وحجارة الإيوان عابقة الشذا
من وردة تهب الخلود لوردة
وعيون (هولاكو) يجف بريقها
والقيد يكسره العيد بصخرة
ومحطم الأغلال يهوي ساخرًا
عبر الزمان على الجدوع ببلطة
والعائدون مع الربيع قلوبهم
للدفء تفتح بابها في لهفة
«أختاهُ! عاد فضمّخي أثوابنا
بالطيب واحتفظي اليه بقلتي
الباب موصود فقومي وافتحي
فالمقبض العاجي أوهن قبضتي
إني من الماضي أتيت فمن هنا

غيري وغير المنصتين لخطوتي؟»
نهر الحياة وكان آخر منظر
روحي له اضطربت ، وسرتُ ومديتي
وعيون (هولاكو) يجف بريقها
والقيد يكسره العبيد بصخرة

الحريم

« شفتاك جرح لا يزال دمًا يسيل
على وسادتنا طوال الليل ، يا عصفورتى ، جرح يسيل »
ويظل فارسها يغني تحت شرفتها : « طوال الليل ، آلاف
الحريم

يُولَدُنْ ثم يمتن عند الفجر إلا أنتِ ، يا حلمي الجميل !
على وسادتنا ، طوال الليل ، يا حلمي الجميل ! »
وعمام خضر ، وصيادو الذباب

يخمسون « قصيدة عصماء !! » في ذم الزمان
وقبور موتاهم وحانات المدينة والقباب
وسحائب الأفيون والشرق القديم
ما زال يلعب بالحصى والرمل

ما زال التناولة العبيد

يستترفون دم المساكين الحزاني الكادحين
على وسائد من عبير

ويزاولون تجارة القول المزيف والرقيق
ما زال (هولاكو) و (هارون الرشيد)

ولم يزل (فقراء مكة) في الطريق . . .

وقوافل التجار والفرسان والدم والحريم

يُولَدُنْ ثم يمتن عند الفجر في أحضان (هارون الرشيد)

ويعود فارسها يعني : « لم تعودي ، شهرزاد !
- زاد المعاد -

جسداً بأسواق المدينة في المزاد
جسداً يُباع

يا أنتِ ، يا عصفورتي ، يا شهرزاد !
ومنايع البترول والكهان والشرق القديم
ومحطّم الأعلام يبصق في الظلام على القبور
ما زال أعداء الحياة يزاولون

تجارة القول المزيف والرقيق
« ما زال (هولوكو) و (هارون الرشيد)
ولم تنزل (أهرام خوفو) ساخرات
من الحزاني الكادحين
وعلى هشيم صخورها ، لَمَّا تنزل حمراء
آثار السياط

وأدمع البؤساء ، والمستضعفين
ولم يزل في السفح ، صيادو الذباب
وثورة الجيل الجديد على القديم
ويعود فارسها يعني ، تحت شرفتها : « حياتي ، شهرزاد !
كحياة باقي الناس كانت ، كالفقاعة في الهواء
حتى حملت معي السلاح
سلاح ثورتنا على الشرق القديم
وهدمت أسوار الحریم »

مذكرات رجل مجهول

٨ نيسان

أنا عامل ، أدعى « سعيد »
من الجنوب
أبوأي ماتا في طريقهما إلى قبر الحسين
وكان عمري آنذاك
ستين - ما أقسى الحياة
وأبشع الليل الطويل
والموت في الريف العراقي الحزين
وكان جدي لا يزال
كالكوكب الخاوي ، على قيد الحياة

١٣ ميس

أعرفت معنى أن تكون ؟
متسولاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبير !
وذقت طعم اليتيم مثلي والضياع ؟
أعرفت معنى أن تكون ؟
لصاً تطارده الظلال
والخوف عبر مقابر الريف الحزين !

١٦ حزيران

إني لأحجل أن أعري ، هكذا بؤسي ، أمام الآخرين
وأن أرى متسوّلاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبير
وأن أمرغ ذكرياتي في التراب
فنحن ، يا مولاي ، قوم طيبون
بسطاء ، يمنعنا الحياء من الوقوف
أبدأ على أبواب قصرك جائعين
١٣ تموز

ومات جدي ، كالغراب ، مع الخريف
كالجرذ ، كالصرصور ، مات مع الخريف
فدفنته في ظل نخلتنا وباركت الحياة
فنحن ، يا مولاي ، نحن الكادحين
ننسى ، كما تنسى بأنك دودة في حقل عالمنا الكبير
١٥ آب

وهجرت قريتنا ، وأمي الأرض تحلم بالربيع
ومدافع الحرب الأخيرة ، لم تزل تعوي ، هناك
ككلاب صيدك لم تزل مولاي تعوي في الصقيع
وكان عمري آنذاك
عشرين عام
ومدافع الحرب الأخيرة لم تزل .. عشرين عام
مولاي .. ! تعوي في الصقيع
٢٩ أيلول

ما زلت خادمك المطيع
لكنه علم الكتاب

وما يُثير برأس أمثالي من الهوس الغريب
ويقظة العملاق في جسدي الكئيب
وشعوري الطاعي ، بأنني في يدك ذبابة تدمي ،
وأنت عنكبوت
وعصرنا الذهبي ، عصر الكادحين
عصر المصانع والحقول
ما زال يُغريني ، بقتلك أيها القرد الخليع
٣٠ تشرين الأول

مولاي ! أمثالي من البسطاء لا يتمردون
لأنهم لا يعلمون
بأن أمثالي لهم حق الحياة
وحق تقرير المصير
وأن في أطراف كوكبنا الحزين
تسيل أنهار الدماء

من أجل إنسان الغد الآتي السعيد
من أجلنا ، مولاي ، أنهار الدماء
تسيل في أطراف كوكبنا الحزين
١٩ تشرين الثاني

الليل في بغداد ، والدم والظلال
أبدأ تطاردني كأني لا أزال
ظمان عبر مقابر الريف البعيد
وكان إنسان الغد الآتي السعيد
إنسان عالمنا الجديد
مولاي ! يُولد في المصانع والحقول

المجد للأطفال والزيتون

— أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر —

باسمك في قرينتنا النائبة الخضراء
في العراق
في وطن المشانق السوداء
والليل والسجون
والموت والضياح
سمعت أبناء أخي ، باسمك يلهجون
فدى لك العيون
يا واهب الربيع للفقار
ومنزلة الأمطار في قرينتنا الخضراء
باسمك يا جمال
سمعت أبناء أخي القليل
- في رصاص
عصابة الأذنان
في العراق -
سمعتهم باسمك يلهجون
فدى لك العيون
يا صانع السلام والرجال
يا جمال
وواهب العروبة الضياء

ومنزل الأمطار في صحراء
حياتنا الجرداء ، يا رجاء
عالمنا الجديد
وفجرنا المعذب الوليد

قصائد إلى يافا

١ - أغنية

(يافا) يسوعك في القيود
عارٍ ، تمزقه الخناجر ، عبر صلبان الحدود
وعلى قبابك غيمة تبكي ،
وخفاش يطيرُ
يا وردة حمراء ، يا مطر الربيع
قالوا وفي عينيك يحتضر النهار
وتجف ، رغم تعاسة القلب ، الدموع
قالوا : « تمتع من شميم ،
عرار نجد ، يا رفيق »
فبكيت من عاري :
« فما بعد العشية من عرار »
فالباب أوصده (يهوذا) والطريق
خالٍ ، وموتاك الصغار
بلا قبور ، يأكلون
أكبادهم ، وعلى رصيفك يهجعون

٢ - أسلاك شائكة

صيحات حارسة الكروم
في الليل توقظني
فأسمع وهوهات
ريح الشمال
في غابة الزيتون ناحية ، على سمعي تعيد
مأساة شعبي الصامد المقهور
مأساة الضياع
وكان معركة تدور
بيني وبين الموت في صمت وإصرار حزين
أنا لن أموت
ما دام في مصباح ليل اللاجئين
زيت ونار ، عبر مقبرة الحدود
حيث الخيام الباليات
كأنها في الريح لافتة تشير
إلى طريق العودة الدامي القريب

٣ - رسالة

يا إخوتي المتحرقين إلى غد ، تحت النجوم
يا صانعي الحب العظيم
والخبز والأزهار
يا أطفال يافا الهائمين
على تخوم
وطني الكبير
أنا لا أزال ، هنا ، أغني الشمس محترقاً
أغني لا أزال .
والريح ، والعصفور في بيتي ينازع ، والظلالُ
سوداء ، تحجب عنكم وجهي المخضب بالدماء
وليل إسرائيل وهو يقيء حقداً وانتقام
وعاهرين ومخبرين
أنا لا أزال ، هنا أغني الشمس ، في صمت وإصرار حزين
يا إخوتي المتحرقين
إلى النضال

٤ - المجد للأطفال والزيتون

المجد للشهداء والأحياء ، من شعبي
وللمتمزقين الصامدين
المجد للأطفال في ليل العذاب
وفي الخيام
المجد للزيتون في أرض السلام
وللعصافير الصغيرة وهي تبحث في تراب
حقلي ، وللجيش المرابط في حدود
وطني الكبير
- جيش العروبة والخلاص -
المجد للشعراء والكتاب ، أحباب الحياة
والخائضين ، اليوم ، معركة المصير
والضارين يد الطغاة
المجد للمرضى على سرر البكاء
وللنساء الكادحات
الأمهات .

٥ - العودة

الليل تطرده قناديل العيون
عيونكم ، يا إخوتي المتناثرين الجائعين
تحت النجوم .
وكأن حلمت بأنني بالورد أفرش والدموع
طريقكم
وكأن يسوع
معكم يعود إلى (الجليل)
بلا صليب .

الأصدقاء الأربعة

أصدقائي !
في حقول النور كتتم ، أصدقائي
كالعصافير الطليقة
كالينابيع العميقة
وأنا أبحث عنكم . أصدقائي
في حقول النور كتتم ، في انتظاري
وكأعمى قادني النجم إلى الباب المضاء
فالتقينا
وعلينا
من ندى الصبح لآلي
وتحدثنا قليلاً ، وافترقنا
والتقينا ، والليالي . . .
وملايين الفراشات تموت
في حقول النور ، عمياء ، تموت
وخطانا تفرع الأرض إلى الباب المضاء

* * *

أصدقائي في المصير
أصدقائي في عذاب الخلق والصمت المرير
الوداع الآن
فالساعة دقت ، أصدقائي !

الأمير السعيد

... وأدرك الصباح ، شهرزادُ
فسكتت وعادُ
إليّ نفس الحزن ، والشعور بالضياء
وأنت في حديقتي تسيّرُ
يا سيدي الأمير !
منفرداً ، سعيد
تحلم بالأميرة الصغيرة الحسنة
في قصرها الوردي ، في أرجوحة الضياء
وهي تغني أغنيات الهجر واللقاء
يا فارس الضبابُ
عرج على قصري في السحاب
إني هنا ، وحيدة ، في الباب
من زهر الليمون واللبلاب
ضفرت إكليلاً لك ، الغداة
أموت يا فارسي الصغيرُ
إن لم تعد إليّ ، يا فراشة تطيرُ
في حلمي يا حبي الأخير
وأنت لا تغدو ولا تروحُ
كأنك التمثال ، لا تبوح

بما وراء الصمت من آفاق
يخاف من مجهولها العشاق

* * *

وهكذا ؛ يا أيها الأمير
يحترق القلب ، ولا يبقى سوى الرماد
وأدرك الصباح شهرزاد
فسكتت وعاد

إليّ نفس الحزن ، والشعور بالضياع
وأنت في حديقتي تسيّر
تحلم بالنافورة البيضاء
وبالعصافير وبالغدير
في ليلة مقمرة خضراء
ولا ترى وجهي الذي شوّهه البكاء
وقلبي الكسير

يسألك الرحمة والغفران
لأنني أحببت - والله على غرامنا شهيد
والأرض والإنسان -
وصيفة الأميرة الحسنة

* * *

حكاييتي ، يا أيها الصغار
تمت ، وفي ليلتنا المقبلة القمراء
أروي لكم حكاية أخرى عن الصياد والعنقاء

مدینتی والغجر

مدینتی استباحها الغجر .
مدینتی أهلکها الضجر .
مدینتی ، القمر
یخاف من بیوتها المنفوخة البطون
یخاف من عیون
حاکمها الشریر
المیت الضمیر
لکنه یحب فی أحوالها الفقیرة السوداء
صیبة عمیاء !

* * *

مدینتی الحزینة الصماء
تخاف من حاکمها الشریر
المیت الضمیر .
لکنما القمر
یحب فی أحوالها الفقیرة السوداء
صیبة عمیاء
تؤمن بالفجر وبالإنسان
وترفض الإحسان
من عاشقٍ فقیر

إلى إخواني الشعراء

يا إخوتي : الحياة
أغنية جميلة ، وأجمل الأشياء :
ما هو آت ، ما وراء الليل من ضياء
ومن مسرات ومن هناء .
وأجمل الغناء :
ما كان من قلوبكم ينبع من أعماق
شعوبنا الراسخة الأعراق
وأرضنا الطيبة الخضراء .
فتلعنوا الظلام
وصانعي المأساة والآلام
ولتمسحوا الدموع
وتوقدوا الشموع
في وحشة الطريق للإنسان

* * *

يا إخوتي : الحياة
أغنية جميلة ، مطلعها الدموع والأحزان

أغنية إلى شعبي

أنا هنا ، وحدي ، على الصليب
يأكل لحمي قاطعو الطريق والمسوخ والضباع
يا صانع اللهب
يا شعبي الحبيب
أنا هنا ، وحدي ، على الصليب
يسطو على بستاني الصغار
ويرجم الكبار
ظلي الذي يسط كفيه إلى النجوم
ليمسح الهموم
عن وجهك الحزين
يا شعبي السجين
يا رافع الجبين
للسمس وهي تطرق الأبواب
مخضوبة الثياب
أنا هنا وحدي أذود النعاس
عن عينك المتعبة
يا صانع اللهب
يا شعبي الحبيب

ربيعنا لن يموت

عشثروت

ربيعنا لن يموت

ما دام عبر البحار

امراة تنتظر

يا حبها المحتضر

ناديت من لا يعود

فضع بكفي القيود

وحطم الذكريات

وضع بقايا الرفات

في صدرك المقفل

على هوى مهمل

قبر الهوى الأول

* * *

حكاية المبدع :

يا أنت للضفدع

بمن تُرى تحلمين؟

يا بنت جيلي الحزين

أنا وحيد ، سجين

في بئر نفسي اللعين
ألهو بما تجهلين

* * *

عشروت
ربيعنا لن يموت
ما دام عبر البحار
امرأة تنتظر

ورفعت رايتك الصغيرة في طريق الطيبين
وهمست : « إني منكمو » .
ومضيت مرفوع الجبين
سغباً تغني الشمس، شمس ظهيرة الفجر القريب
ويداك، حباً، ترسمان حمامة بيضاء تحتضن الصليب
وغصن زيتون خضيب .
لكنها الأيام دارت والسنين .
فإذا برايتك الصغيرة في الوحول وفي طريق الميتين
وإذا ، « بأني منكمو !! »
تنصبّ في آذان أعداء الرجال الطيبين .

- إلى غابرييل بيري وعمال مارسيليا الصغار -

عمال مارسيليا الصغار
يا أيها المتألمون
أتسمعون؟
أنات شعبي المستباح
وتمتمات
أطفاله الكسحاء و المتسولين
أتسمعون؟
شعراءنا البسطاء إذ يتحدثون
عن السلام
وعن نضال
عمال عالمنا الجياع المتعبين

* * *

(غابرييل) يا عقب الربيع ويا نشيد الثائرين
ما زلت أذكر وجهك الصافي العميق
وقد تخضب بالدماء
ما زلت أذكر صمت مارسيليا المرير
وبنادق الفاشست مرعدة و (بيتان) العجوز
كالكلب يقعى تحت أقدام الغزاة

ما زلت أذكر والرفاق
وراء نعشك سائرون

* * *

ولربما يوماً سيقتلني البرابرة اللثام
في قعر مظلمة ، كما اغتالوك في وضح النهار
ويظل من بعدي وبعذك سائرين
عمال مرسيليا الصغار
نحو الغد النائي القريب

رسالة حب إلى زوجتي

عيناك من منفى إلى منفى تصبان الحريق
يا أخت روحي ، في عيوني ، في فضاء
صحراء حبي ، في عميق
جرحي ، الحريق
يا أخت روحي ، يا غرامي ، يا نداء
شعبي وأحلامي وبيتي ، يا عبير
غابات (كردستان) في فجر مطير
عيناك قنديلان من ذهب ونار
حمامتي ! ذهب ونار
وجلنار
يتوهجان ، الليل ، في منفاي
في خضر الدروب
وفي ينابيع الجبال
وفي سهوب
وطني البعيد
حيث الربيع يموت محترق الشفاه
عريان ، والأطفال في أوراده يتدثرون
والخبز يُغمس بالدموع
وحيث آلاف الجباه

للشمس ترفع في تحد وانتصار
حمامتي ، يا أم طفلي ، في انتصار

* * *

وإليك غنيت الضحى والليل والغد والربيع
وهتفت : يا وطني

لعينها أجوع
ولعين شعبي العامل ، الفلاح ، منتصراً أموت

بيروت - ١٠ آذار ١٥٥

رفاق الشمس

وعلى أبواب (مدريد) انتظرك طويلاً
ولعينيك ، رفيق الشمس ، خضبتنا الحقولاً
وافترشنا الأرض في أسواق (طهران) القديمه
وأكلنا الشوك والصبأر في أحياء (شيكاغو) الديممه
وانتظرك ، وكنا
تحت رايات رفاق آخرينا
- يشبهونك -

نصنع التاريخ والحرف ، وكنا
متعيينا .

يطلع الفجر علينا
شاحباً ، يشبه في اللون عيونك
يوم خضبتنا حقول الرز في ليل العراق
بدماء الآخرينا
ولعينيك انتظرنا

في حقول الرز في ليل العراق
تحت رايات خضيبه
وبأسماء حبيبه
يطلع الفجر علينا
وتولي الظلمات

وتغني القبرَات
إنها الشمس التي من أجلها ناضل آلاف الرفاق
في الهوى تشرق ، في ليل العراق
وعلى أبواب مدريد وفي أسواق طهران القديمه
وعلى الموتى ، وفي أحياء شيكاغو الديميه .
إنها تشرق في عينيك ، يا ضوء الصباح
ورقيقاً في السلاح
تحت رايات خضيه
وبأسماء حبيبه

١٩٥٤ / كانون الأول

طوبى لكم ! طوبى لكم ، إننا
بقية عادت من المجزرة
تعجن خوف الله أكبادها
خبزاً وفي أعماقها مقبره
بيوتنا ، آلامنا ، أمسنا
عاثت به أيديكمو الخيره
نسقي ولا نسقي وخماركم
يشد في أرجلنا المعصره
يا طفل ! يا انسان ! يا هزأة
ما أعظم الإنسان ! ما أكبره !
كنت ، فكان الحب ، لا أوحشت
أطلاله ، ليلاك المقمره
خطئة ما برحت نارها
تطلب من موقدها المغفره
لو عاد للعالم أمواته
لاحتضنوا في أرضنا المزهرة
ألف يسوع في جراحاته
مات لتحيا فكرة نيره
الليل قد ولى ، ولما نزل

نهيم في أحلامه المقفره
يا اخوتي شدوا على جرحكم
إننا بلغنا آخر المسخره
الواحة الخضراء : لا تيأسوا !
لم يبق إلا دونها قنطره
دخان بيتي ، صوت أطفالنا
وأرضنا الحمراء ، والمقبره
حتى أبي ، بالدمع مخضلة
عيونه المطفأة المبصره

* * *

طوبى لكم ! طوبى لكم ! إننا
بقية عادت من المجزره

١٩٥٢

١ - الشعر والموت

الشعر في صمت المصحِّ بلا دموعٍ
وبلا شموع
يموت في عيني كقديس شهيد
وعلى غطاء فراشي الدامي ، شعاع
من شمس أيلول ، تلاًلاً كالشراع
في عين بحار :
أيا أبواب ليل المستحيل
لا تنزعيني آه من حبي الجديد
فالطين في رثتي وفي فمي الصديد
وعلى الوسادة مضغة سوداء من جسدي القتيل

٢ - سونيا والأسطورة

ويظل في ليل المصحّ الآخرون
بلا دموع يذبلون
على فراش من رماد
وتظل (سونيا) في أغاني السندباد
أسطورة تروى وأغنية تعاد
في وحشة الردهات ، في صحراء ليل الهالكين :
يا هودج الحب الحزين
أحبابنا رحلوا ، وما تركوا لنا غير الدموع .
والورد في بستان عالمنا يضيع
إلا أنا وحدي أموت بلا دموع

٣ - صانع العاهات

الليل مسمار يُدقُّ يُدقُّ في صدري الصديع
يا صانع العاهات
والآهات ، يا نهر الصقيع
إخواني الموتى ، أراهم يضحكون
في الليل ، في ليل المصح ، بلا عيون
إخواني المتثلجون
كنوارس حول السفينة يحلمون
بالبعث ، بالشمس الوضيئة ، بالربيع ،
بالأصدقاء الطيبين ،
بشوارع المدن الكبيرة ، بالسنين

٤ - أمل

إني لأومن في غد الانسان ، في نهر الحياة
فلسوف يكتسح التفاهات الصغيرة والسدود
ولسوف ينتصر الغداة
إنسان عالمنا الجديد
على المذابح والخرائب والوباء
إني لأومن . . . رغم موتي في المساء
صديان في صمت المصح ، بلا صديق
وبلا يد تحنو عليّ ، ولا رحيق ،
إني لأومن ، أيها الموت العنيد ،
بالفكر يعمر أرضنا الذهبية الخضراء ، بالفكر الجديد

٥ - سبارتاكوس

لا بد من روما ، وإن طال العذاب
يا أيها الشرفاء ، يا فقراء شعبي الطيبين
الكادحين ، المبدعين ،
يا صانعي الثورات والتاريخ
مذ أحببتكم ، هتك الحجاب
وتفتحت عيناى فى قلب الضباب
على حراب
جنود روما يذبحون
أطفالكم ، يا إخوتى البسطاء
يا فقراء شعبي الطيبين

٦ - الرحيل

منديل أعياد الطفولة في الوحو
وعليه من رثيَّ شيء لن يحول ،
شيء يقول : « غداً تموت »
يا مركبات النار
يا عربات أحزان الرحيل
لا تسرعي ، فالأرض في أعيادها ، لما تنزل يا مركبات
جذلي ، يباركها بنوها القادمون
ولم يزل في ليلها الصافي الحنون
لنا نجوم تلتقي نظراتنا في ضوئها يا مركبات
لا تسرعي ! فأنا أحب أحب ساحرتي الحياة

الأرض الطيبة

وفي قريتي ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبَّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بساعده في دروب القمر

* * *

أيا قطرة من عبير
ويا وترأ من حرير
على سفح « حميرين » يا فتنتي (١)
ومعبودتي !
ليالي الشتاء الحزين
وصيحات أطفالك الشاحبين
وراء السحاب
حفاة ، عراة
تذكرني بعهود السراب
بعين أبي المطفأة
بطيف امرأة
مجللة بالسواد

(١) حميرين : من جبال شمال العراق .

وراء حقول الرماد
تذكرني بسيول الجياع
وهم ينشون، التراب
تذكرني بالمطر
يثير الفرح
مع الفجر ، في غابة السنديان
فترقص أكواخنا في الضباب
ويرقص حتى الحجر
لوقع المطر
مع الفجر ، في غابة السنديان

* * *

وفي قريتي ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بساعده في دروب القمر

أغنية إلى ولدي علي

ولدي الحبيب
ناديت باسمك ، والجليد
كالليل يهبط فوق رأسي ، كالضباب
كعيون أمك في وداعي ، كالمغيب .
ناديت باسمك
في مهب الريح
في المنفى
فجاووني الصدى : « ولدي الحبيب »
والقاتلون
يحصون أنفاسي ، وفي وطني المعذب يسجنون
آباء إخوتك الصغار
ويبشرون
بالعالم الحرّ ، العبيد
وبمعجزات
دولارهم - أمل الشعوب -
وواهب الموتى ، الحياة
ويروّعون الأمهات
ويخضبون
رايات شعبك ، يا صغيري ، بالدماء

وأنت لاه ، لا تجيب
لاهٍ بلعبتك الجديدة ، لا تجيب
وعيون أمك في انتظاري ، والسماء
والليل في (بغداد) ينتظر الصباح
وبائع الخبز الحزين
يطوف في الأسواق ، والعميان والتمسولون
يستأنفون على الرصيف
تلاوة الذكر الحكيم
ووراء أسوار السجون
يستيقظ الشعب العظيم
محطماً أغلاله ، ولدي الحبيب
وأنت لاهٍ لا تجيب

* * *

الريح في المنفى تهب ، كأن شيئاً فيّ مات
إني أبارك ، يا صديري رغم قسوتها ، الحياة
فأنا وأنت لشعبنا ملك ، وإن كره الطغاة

عندما يحب الفقراء

وجرحت إحساسي
يا أيها المتحجر ، الناسي
بحديثك القاسي
عن عقديّ الماسي
عقدي المزيف
أيها القاسي !
ونفذت كالفأر المريض ، إلى
نفسى تُعريها
كنسناس .
لا شيء ، غير صبية ، فجعت
بك يا جبان
بعقدها الماسي .
وحجبت عاري عنك ، يا حلمي
عن أختي الصغرى
عن الناس
وكتمت أنفاسي
خوفاً ، من الجيران أنفاسي
فالعقد من دولاب ، سيدتي
سرقته أمي
أيها القاسي .

أغنية خضراء إلى سوريا

عيناَي في عينيك ، يا وطن العقيدة والكفاح
والنار في قلبي ، وفي يديّ السلاح
أحمي حدودك من صغار النحل
يا وطن الأفاح
وأنا أغني ، والجراح
صبغت سماء مدينتي .
- « طلع الصباح ! »
يا إخوتي
طلع الصباح
وعلى نوافذ بيتنا ، كان الربيع
طفلاً يغني ، والسماء
حمراء مثل سماء روما ، يوم أحرقتها عذاب
(نيرون) ، مثل الحب يأبى أن يبوح
مثل المسيح على الصليب
وأنا أغني ، والسحاب
يخفي ذرى (حرمون) عن عيني
وفي يديّ السلاح
والنار في قلبي ، فَهَبِّي يا رياح
وليُمعن الجلاذ في قتلي ، فحبي لن يموت

ما دام لي كوخ على (بردى) ولي أبداً رفاق

* * *

للكادح العربي في عينيك
تاريخ طويل للنضال
أقوى من الأوغاد ، يا وطن الرجال

١٩٥٥

قطار الشمال

ألا يا قطار الشمال البعيد
إلى شرق برلين ، عجل بنا
فعما قليل يشق السماء
هتاف الجماهير : « إنا هنا »

* * *

وغاب رصيف القطار
ومنديلها لم يزل في يدي
وسروتنا تصنع الأغنيات
عصافيرها بانتظار الغد
وأنا وإخوتي الجائعين
وشعبي الحزين
تلاحقني
يا رفيق النضال
طوال الليال
وفي وطني يقتلون الرجال
ويطفئ في أعين الأمهات
بريق الحياة
طغاة صغار

ويحجب عنا ضياء النهار
بألف جدار
وتحصى على الشعب حتى الدموع
ويسكت بالنار صوت الجموع

* * *

ألا يا قطار الشمال البعيد
إلى شرق برلين ، عجل بنا
فعما قليل يشق السماء
هتاف الجماهير : « إنا هنا »

البريد العائد

بالموت ، بالكونية الأخرى
بأسمال الجنود
بالنار ، بالطاعون ، بالدم والحديد
أخته كانوا يحلمون
كما حلمنا نحن يوماً باللقاء
على طريق
(أزمير) في أمسية من أمسيات
آذار ، تحت الزيزفون

* * *

لكنهم مني ومنك سيهزأون
لأنهم لا يحلمون
إلا بأسمال الجنود
ومعسكرات الاعتقال
والنار والطاعون والدم والحديد
وسيسخرون
من حبنا ، أخته
من أطفالنا ، مما نريد
ويجعلون

منا طعاماً للمدافع والسجون
ويسلخون جلودنا ، وسيصنعون
منها فراء للعواهر والقياصرة الصغار
لأنهم - واخجلتاه -
كلاب صيد ، في دم الأطفال
في الدم يحلمون

* * *

أخته . . إن ساعي البريد
ضلّ الطريق
يوماً إليّ ، ولم يجد إلاّ الجليد
والريح والموتى وأسمال الجنود
فلا تعودي تحلمين
فالشمس للأحياء
تشرق مرة في عصرنا هذا
وتجنح للمغيب

ثلاث أغنيات إلى أطفال وارسو

(١)

عندما يحلم عمال بلادي
بك ، يا ذات العيون الذهبية
أسمع الشمس تغني في فؤادي
وشراع السندباد
في البحار الآسيوية
أبدأ تنفخ فيه الريح أنشودة حب
لك يا وارسو بقلبي
قوس نصر ، شاده بالدم ، عمال بلادي

(٢)

آه يا أطفال وارسو ، أغنياتي
باقة حمراء ، من أطفال شعبي
لكمو ، للأمهات
للملايين هدية
من بلادي العربية
من بلاد الشمس ، من أعماق قلبي
إنها تذكّار حب
لكمو ، أطفال وارسو ، من بلادي العربية

(٣)

ليت لي - يا أيها القلب الأسير -
مثل أشعاري ، جناحين ، الى وارسو أطيرو
مثل عصفور على أبوابها الخضرو أغني
في الضحى ، في فرح الطفل الأغن
وأجوب الطرقات
عاشقاً ألفت عصا الحب به في دنيوات
كل ما فيها عبير وضياء
وفراشات وأطفال من الجنة جاؤوا

١٩٥٥

— أغنية انتصار الى مراكش وتونس والجزائر —

باسم أبطالك ، يا خيمة أفريقيا - النجوم
والأقاحي والكروم
والعصافير الصغيرة
والهوى والأرض والإنسان - يا شمس الظهيرة
باسمهم غنيت ، غنوا للسلاح
للعيون المغربية
في الخيام العربية
تتحدى الموت في « اوراس » في ليل الجراح
باسمهم غنيت ، غنوا للمصباح
وشربت الخمر من عينيك
يا حسرة ميلاد قصيدة
في ليالي شاعر حز وريده
في حديد السجن ، في « وهران »
في أعماق « وهران » البعيدة
في أماسيها الكثيرة
يا دماً سال على أبيات « ايلوار » الحبيبة
شاعر الحب الذي بالأمس غنى في الطريق
للنجوم الزرق ، للأطفال :
« ايلوار صديقي »

إنهم أعداؤه الفاشست عادوا من جديد
يصنعون الليل والمأساة في الفجر الوليد

* * *

لك ، يا نافذة في ليل افريقيا « السلام »
ولك النصر
وللفاشست « الموت الزؤام »

١٩٥٥

كلمات منحة إلى الكتاب المصريين

حين تنمو الكلمات الطيبة
في قلوب البسطاء
كالبكاء
تشرق الشمس على أسوارك المنتحبة
وتطير الأغنيات
كالسنونو فوق أرض المعركة
يا قميص الدم
يا ثورتنا المشتعلة
يا قناديل حياة مقبلة
يا شعارات رفاقي الظافرة
لك قلب القاهرة
لك - مذ أيقظه الحب - يغني
للملايين الحزينة
وهي تصحو - بغتة - من نومها
وتروّي أرضنا في دمها
أرض « زهران » ومبكي « أم صابر »
ووشاحاً أحمرًا للنيل ملقى فوق شاعر
حطمت قيثاره بالأمس أيدي العجر
ورياح الضجر

يوم كان الفنز يستجدي على أبواب « كسرى »
خجلاً عريان ، لا يملك أمرا
غير أن يبكي ويبكي
بين ماخور وملك

* * *

لك يا أرض الأسى والمعركة
والهوى والكلمات الطيبة
ولأبنائك حبي

١٩٥٦

في المعركة

وكانت شعاراتنا كالسما
مخضبة بدماء الرفاق
وكنا نطالب باسم الصغار
وباسم الحياة
وباسم العراق
نطالب بالأرض للكادحين
وبالخبز والملح للجائعين

* * *
وكان رفاقي الصغار
- ورود الغد اليانعات -
وراء الجدار
يموتون تحت سياط البغاة
وفي الغرف الموحشات
وقد أسدل القاتلون الستار
على سخریات
محاكم تفتيشهم ، يا رفيق

* * *
وظلت شعاراتنا في الطريق
وفي أغنيات
شبية بغداد والأمهات
ترفرف في أمل وانتظار

أغنية زرقاء إلى فيروز

افتحي النافذة الزرقاء للشمس
فأحلى أغنية
في حكايات بلادي
خضبت ، وهي تجوب الأودية
بدم البلبل ، أوتار المغني :
يا عبير الأودية
في ربيع الأغنية .
افتحي للشمس ، بوابة سجني
ليرى العالم جرحي
صامتاً ، كالليل ، في صحراء ملح .
ليرى العالم شعبي
صامداً في وجه أعداء الحياة
رائعاً كالأغنيات
حاملاً ، كالأرض ، في أحشائه ، بذرة خصب
مثقلاً بالورد والأثمار في ليلة حب
إنه أغنيتي الأولى وزادي وصباحي
وعزائي في الكفاح
ورفيقي في السلاح
إنه شعبي ، فحسبي

يا عمير الأودية
في ربيع الأغنية
افتحي للليل
في طريق الجبل
كوة في الأغنيات
ليرى العالم منها صرخاتي

* * *

إنها رحلتنا في عالم الإنسان عبر الكلمات
فافتحي الكوة ، للشمس ، وغني للحياة

١٩٥٦

الموت في الخريف

عينك في ليل الخريف الى المدى تتطلعان
ماذا وراء الربوة الحمراء غير السنديان
وسحائب تبكي ومدخنة وحان
تبني لأمر ما على شبابه عصفورتان
عشاً من الدم والدخان
وأنت كالحلم المسجى ، ذابل ، دامى الجنان

* * *

يا صامتاً ، والريح تعول في الظلام
إنطق ولو حرفاً ! وما جدوى الكلام ؟
إن هوم الساقى وعربدت المدام
وتجاوبت دقات أجراس الحمام
في هوة الأبد السحيق ، وأنت مبتسماً تنام
وعلى جبينك ، يا رفيق الفجر ، فجر من سلام

* * *

يا صامتاً ؛ والسنديان الشاحب المقرور تجلده الرياح
وصديقك الحسنون قد ألقى السلاح
متخضباً بدم الجراح النجل ، مقصوص الجناح
إنطق ولو حرفاً ، لعل الكأس تلمع فيه راح

ولعل حادي الموت يشفق أن يرى هذي الجراح
تشفى ولا يشفى حنين في عيونك للصباح

* * *

الشمس تشرق ، والخريف على الهضاب
يلم أذيال السحاب
والسنديان تناثرت خصلاته فوق التراب
وصداح قبرة كأن قيثارة في قلب غاب
وكأن تخطت ألف باب
قدماك في ليل الخريف ، وعاد للأرض الشباب

كانون الأول - ١٩٥٤

أشعار في المنفى

أحزان البنفسج

الملايين التي تكدح لا تحلم في موت فراشة

وبأحزان البنفسج

أو شرع يتوهج

تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيف

أو غراميات مجنون بطيف

الملايين التي تكدح

تعري

تتمزق

الملايين التي تصنع للحالم زورق

الملايين التي تصنع منديلا لمغرم

الملايين التي تبكي

تُغني

تتألم

في زوايا الأرض ، في مصنع صُلب أو بمنجم

إنها تمضغ قرص الشمس من موت محتم

إنها تضحك من أعماقها

تضحك

تغرم

لا كما يغرم مجنون بطيف

تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيف

* * *

الملايين التي تبكي

تغني

تتألم

تحت شمس الليل باللقمة تحلم

الموت في الظهيرة

الى العربي بن مهدي الزعيم الوطني الجزائري الذي قتله
البرابرة الفرنسيون في زنزانه في السجن .

قمرُ أسودُ في نافذة السجن ، وليلُ
وحمامات وقرآن وطفلُ
أخضر العينين يتلو
سورة « النصر » وفلُ
من حقول النور ، من أفق جديدِ
قطفته يد قديس شهيد
يد قديس وثائر
ولدته في ليالي بعثها شمس الجزائر
ولدته الريح والأرض وأشواق الطفولة
وعذابات ربيع في خميلة
وانتصارات وحمى وبطولة
وحمامات وقرآن وليل
صامت يمسح عن كفيه آثار الجريمة
قمر أسودُ
آثار الجريمة
وعلى الجدران ظل

يتدلى رأسه ، يسقط ثلج
فوق عينيه وترب وجنادل
فوق عيني ذلك الطفل المناضل

* * *

كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم
كان مثلي يتألم
كان سرّاً مغلقاً لا يتكلم
كان يعلم :
أنه لا بد هالك
وستبقى بعده الشمس هنالك
في ليالي بعثها شمس الجزائر
تلد الثائر في أعقاب ثائر

الربيع والأطفال

كأعين الموتى ، على طريق
بغداد
كانت أعين الأطفال
تبكي وتبكي :
إنه الربيع
عاد إلى بلادنا
عاد إلى الحقول
بلا فراشات ، بلا أوراد .
وفي بلادي يصنعون الخمر من دموع
أمواتنا ، ومن دم الأطفال
ويصلبون الشمس في ساحات
مدينتي الموصدة الأبواب
مدينتي بغداد
بلا أراجيح ، بلا أعياد
تستقبل النهار فيها أعين الأطفال
فلا تقولي : إنه الربيع
عاد إلى بلادنا
عاد إلى الحقول
يدفن موتانا بلا أوراد

بلا فراشات

بلا دموع

ويمسح الدماء عن جباه

أطفالنا ويصبغ السماء

بلون عينيك

بلون النار

والعذاب

* * *

يا بذرة في ظلمة الجليد وأنرماد

تدوسها الأرجل في بلادنا

تدوسها الذئاب

تمخّضي فراشةً ووردةً وغاب

موعد في المعرّة

والتقينا في المعرّة
وعلى بردتك البيضاء زهرة
وغمامة
تمطر الأرض التي غنيتها
تمطر قطرة
تلو قطرة
وحمامة
تغنى في بساتين المعرّة :
صاح هذي أرضنا من ألف ألف تنهد
وعليها النار والعشب
عليها يتجدد
صاح إنّنا
أبدأ من عهد عاد نتغنى
والأفاحي والقبور
تملأ الأرض ، ولكننا عليها نتلاقى
في عناق أو قصيدة
مثل أطفال نغني ، نتساقى
خمرة الحب الذي أبلى جديده
إننا نذبل كالورد

ونحيا في قصيدة
مثل أبطال الأساطير التقينا في المعرة
زهرة تعقب زهرة
صاح إنا لم نعد مخلب هر
لم تعد أشعارنا
مخدع عهر
للسلاطين ، ولا باقات زهر
لم نعد محض نفايات وصفير
نعصر الخمر إلى الأرباب من دهر لدهر

* * *

يا رهين المحبسين
قم تر الأرض تغني ، والسماء
وردة حمراء ، والرياح غناء
قم تر الأفق مشاعل
وملايين المساكين تقاتل
في الدجى من أجل أن تطلع شمس

أبي في طريق الشمس

عاد من الشرق مع الشمس
يمسح في أهدابها بؤسي
نظرته ، ضحكته ، وجهه
وجه صبي مرهف الحسّ
أعوامه السبعون زيتونة
عزّت على الحطاب والفأس
الشعرات البيض في رأسه
تنبىء عن حرائق الأمس
والمطر العالق في جفنه
سحابة تمطر في نفسي
حقل من الورد، عليه الضحى
مر ، ومرت قدم الشمس
عيون أمي وهي مبتلة
تذود عنه النحل في يأس
يا رحمة الله على عالم
يضج في قلبي وفي رأسي
لم يبق منه غير زيتونة
وخمرة تجف في كأس
* * *
عاد أبي فالأرض مزهوة
به وقلب الحقل في عرس

موال بغدادي

بغداد يا مدينة النجوم
والشمس والأطفال والكروم
والخوف والهموم
متى أرى سماءك الزرقاء ؟
تنبض باللهفة والحنين
متى أرى دجلة في الخريف ؟
ملتهباً حزين
تهجره الطيور
وأنت ، يا مدينة النخيل والبكاء
ساقية خضراء
تدور في حديقة الأصيل
متى أرى شارعك الطويل ؟
تغسله الأمطار
في عتمة النهار
وأعين الصغار
تشرق بالطيبة والصفاء
وهم ينامون على الرصيف
متى أرى شعبي ! يا مدينة النجوم
والشمس والأطفال والكروم

وهو يسد الأفق بالرايات
ويصنع الثورات
يا طفلة عذراء ، يا مصارع الطغاة
وموطن العذاب والعراة

* * *

يا وطني البعيد
لأجل عينيك أنا شريد
لأجل عينيك أنا وحيد
في هذه الدوامة السوداء
في هذه الأنواء
متى أرى سماءك الزرقاء
ووجهك الصامد ، يا مقبرة الأعداء

طريق العودة

بضحكته الحلوة
ينير الطريق إلى ضيعتي
ويتركني ههنا
أغني لوحدي احتضار السنأ
أغني أنا
غنائي ابتهاال
غنائي قُبَل
وميلاد حب وفجر أمل
غنائي صلاة إلى السنديان
إلى قاطفات الكروم الحسان
إلى قبرة
إلى ليلة مقمرة
تعال حبيبي ، فإن الرياح
وثلج الصباح
يغطي الحقول ، وأنت هناك
بجبهتك العالية
على الراية
أمير صغير
إله
ملاك
ينير الطريق إلى ضيعتي
بضحكته الحلوة

أغنية جديدة إلى ولدي علي

كنازي الصغير
وجهك - والسماء
تمطر في منفاي ، في مدينتي
يبرق في عيون
أملك ، في واحات
ليل عذابي الدامس الأخير
يبرق في غابات
« لبنان » في أنات
فؤوس حطابيه ، في موال
راعية تشعل في الجبال
غرامها الليال
يبرق في دموع
أملك ، في أبيات
قصائدي الخضراء
في صورة العذراء
يبرق في بغداد
- وهي تغني الحب والسلام
ومدية الجلاد
في صدرها تغور - في عيون

عرائس الأطفال واليمام

* * *

قالت ليّ الأسوار:
أن أنساك أو أموت
فالحب لا يشفيه إلا الحب
والسكوت
أولى بهذا القلب ، والسماء
تمطر في منفاي
في مدينتي
وحيث لا جديد
منك ، ولا بريد

* * *

هديتي اليك
كناريّ الصغير ، قبلتان
فمُدَّ لي يديك
رغم سجون الأرض ، لي يديك
فإنني حزين
تمطر في قلبي ، وفي مدينتي السماء

صلاة لمن لا يعود

طوال ليالي البكاء
ليالي السهاد
ليالي الرماد
أصلي
أنادي
حبيبي تعال
فإن العصافير في الظلمة
وجنية الغابة
تؤرقها ، يا أميري الصغير
مواويلك الحمر ، والساقية
وحبي الطريح على الخابية
تؤرقها أغنية
تولول في الأودية
تعال حبيبي ، فإن الظلال
وريح الشمال
ستطفئ لي شمعتي
وترحل عن ضيعتي
مخلفة في المساء
وفي ظلمات البكاء

خيال صبيّة
تصلي
تنادي
حبيبي تعال !

بطاقة بريد إلى دمشق

والتقينا ، يا دمشقُ
وعلى معطفك الأخضر ثلجُ
وعصافير وغابات ووردُ
وبحار لا تحدُّ
أنت فيها ، يا بساط الحب ، موجُ
ومناديلُ وشوق
وبعينيك من الصحراء شمس
فوق بيتي الموحش البارد ترسو
فوق غاب السوسن
في براري وطني
حيث لا أملك إلا كفني
حيث فأسي
أبدأ تحفر في أعماق نفسي
آه لو تنفجر الأحرف بركان قصائد
لتقحمت جدار الليل
علقت المشانق
مثل جندي من الجبهة عائد
مثل طائر
عاد من أرض الجزائر

وتهاالكت على أرضك في شوق أعانق
كل ما أعبد فيها وأحبُّ
وعلى معطفك الأخضر غابات وسحبُ

* * *

كانت الأحرف في نفسي تناضل
وتغني في لياليها قوافل
من قوافٍ ومقاطع
كنت جائع . .

كنت في معركة الخلق أطلع
وجهك الحلو ، فأنسى يا دمشقُ

غربتي

وحشة أيامي

عذابي

وأنا أفتحم التاريخ من باب لباب

———— الزنبق والحرية إلى ولدي سعد ————

عصفور أزرق
في قفص من زنبق
غنى أغنية
غنى الحرية :
يا قمري الأخضر
يا حبي الأول
يا جدول
ينعش صحرائي
يا وطني النائي
يا قمري
يا ولدي الأصغر

* * *

الليلة أحبابي
الواحد بعد الآخر
طرقوا بابي
أحبابي
لكنك يا ولدي
كنت الأوحـد

في ليليّ الأسود
قمرًا أخضر
والعصفور الأزرق
في قفص الزنبق
مكسور القلب يعني
يا قمري
يا ولدي الأصغر

على رخام الدهر ، بور سعيد
قصيدة مكتوبة بالدم والحديد
قصيدة عصماء
قصيدة حمراء
تنزف من حروفها الدماء
تهدر في رويها المنتصر الجبار
صيحات فجر الثار
تطل من أبياتها بنادق الأنصار
وأعين الصغار

* * *

على جبين الشمس ، بور سعيد
مدينة شامخة الأسوار
شامخة كالنار
كالإعصار
في أوجه اللصوص
لصوص أوروبا من التجار
من مجرمي الحروب
وشاربي الدماء

عبر جدار الموت ، بور سعيد
صامدة كالبحر
لا تنام
يخوض في ساحاتها السلام
معركة الحياة
تحرسه بنادق الأنصار
وأعين الصغار

الريح والغربان تنقر في عيونك والدماء
صبغت حصى الوادي
وكفك للسماء
مرفوعة للنجم ، للأفق البعيد
وجناح نسر في الفضاء الأزرق النائي يموت
يموت في عينيك
والغربان تنقره
يموت
وكلابهم تعوي وقاتلك الجبان
خزيان يمسح عن حصى الوادي الدماء
ويقبل النصل الذي أرداك في لؤمٍ
ويجهش في البكاء
وكمن يقول ، كمن ، إلى اللص احترس !
ولسيد البيت الحذار !
صلّى عليك وسار لا يلوي على شيءٍ
وأمعن في الفرار
والريح والغربان تنقر في عيونك والفضاء
نعش بلا وردٍ
وتابوت يجر بلا غطاء

ووراءه تعوي الكلاب

كلابهم

تعوي الكلاب

* * *

يا آكلًا لحمي ولحم أخيك حياً
يا خيوط العنكبوت
يا آكلي إني أموت
من أجل أن أهب الحياة
إليك إني ، يا خيوط العنكبوت
إني أموت
من أجل أن أهب الحياة
للآخرين

من أجل الحب

من أجل أن نضحك للشمس
على شواطئ البحار
ونجمع المحار
ونقطف النرجس من حدائق النهار
من أجل أن تصمد في وجه رياح الليل والأمطار
بيوتنا الحاملة الأزهار
من أجل أن نكتب في جمال عيني أرضنا الأشعار
ونقطف الثمار
من ألف بستان وأن تجمعنا - مهما اختلفنا - دار
من أجل أن ينهار
ليل الطواغيت
وأن تنتصر الحياة
غنيت للحب
وللسلام
والصغار
يا إخوتي الكبار

أعدني إلى وطني

إلهي أعدني
إلى وطني ، عندليب
على جناح غيمة
على ضوء نجمة
أعدني فلة
ترف على صدر نبع وتلة
أغني الشروق
أغني المغيب
أغني الربيع
أذوّب في حرقاتي الصقيع
صقيع ربيع بلادي ، الحزين
ربيع الإله السجين
أغني البراعم
أنا لست حالم
إلهي أعدني
إلى وطني ، عندليب

واغرورقت عيناه بالدموع
وقال لي :
يسوع
بالأمس مرّ من هنا ، يسوع
صليبه غصنان أخضران
مزهران .
عيناه كوكبان .
طلعته حمامة . مشيته أغان .
بالأمس مر من هنا
فأزهر البستان
واستيقظ الأطفال ، لا أحلى
وفي السماء
كانت نجوم الليل
كالأجراس
كالصلبان
غرقى بدمعي كانت الأحزان
طريقنا للحب و النسيان
وأرضنا الخضراء في مخاضها
مثخنة الجراح

تحلم بالزنبق والصبح
تحلم في ألف يسوع سوف يحملون
صليهم في ظلمة السجون
وسوف يكثرون
وسوف ينجبون
ذرية تزرع أرض الله ياسمين
تصنع أبطالاً وقديسين
تصنع ثائرين

* * *

وابتسمت عيناه كالصبح
واستيقظ الأطفال ، لا أحلى
وفي السماء
كان ملاك أخضر الجناح
يفتح باب الليل في مصباح

لا تخجلُ !
لا تخجلُ !
يا حبي الأول
يا صبيحة
أطلقها طائر
في ليل المنفى
وهو يموت
لِمَ أنت حزين ؟
سنوات التكوين
سنوات الفرحه
والعالم يُولد في لمحّة
في وجه أبيك الشاعر
الثائر
فتحت باباً للدمعة
ولفجر تغمره اللوعة

* * *

صبيحات الفقراء
فقراء بلادي

في باب القيصر
في الفجر الأحمر
كالصخرة ، كالقطرة
في بحر الثورة
تقتحم التاريخ
يا حبي الأول
لا تخجل !
سنوات المنفى
علّمت الطائر
وهو يموت
أن يبقى حرا
ينتظر الفجرا

* * *

ما أوحش ليالات
والدك المعدم
في أعلى السلم
في وهج العتمة
في القمة
ما أجمل أن نوقد شمعة
في الظلمات
أن نحيا في فرحة
والعالم يولد في لمحّة
في غنوة

صاﺩقة حلوة

* * *

يا حبي الأول
يا ولدي
لا تخجل !

الأميرة والبلبل

يوم دخلت في الضحى
حديقة الليمون
أمطرت السماء عطراً
أمطرت شجون
واستيقظ البلبلُ
يا أميرتي
والتقت العيون
وأورقت غصون
ورن صوت دافىء حنون :
موعدنا غداً ، هنا
ومرت السنون
وخلف البلبل
يا أميرتي
وأورقتُ غصون
جديدة ، وانتشر الطاعون
في حيناً ، وامتألت سجون
مديتي بالناس
وامتدت يد المنون
إلى ربيعي الأسود الحالم في حديقة الليمون

وأخمدت أنفاسه
وأخمدت لحون
قيثارة السكون

* * *

موعدنا غداً ، هنا
ومرت السنون
لكنني أفقت يا أميرتي
من غمرة الجنون
ولم أعد أجتاز في رآد الضحى
طريقنا الواغل في مجاهل الظنون
فالنار في مدينتي امتدت إلى حديقة الليمون

الآلهة والمنفى

... وتمزقتُ وقاتلتُ طواحين الهواء
وامتطيتُ القمر الأسود مُهراً
عبر صحراء غنائي
وصنعتُ الشعر من آلام أهلي الفقراء
ثم ماذا ؟
هذه أنت حريئة
تمضغين الثلج والأوراق في ليل المدينة
تلعين الموت بالجهر ، وسراً تعشقيه
تلعين الدم من قلبي
وتبكين حزينة
ثم ماذا ؟
هذه أنتِ وهذا ما ترينه
هذه أنتِ بحيرات سهادٍ
وسهوب من رماد
أبدأً يذرعها
فارسك الميت في وهج الظهيرة
درعه بالدم مصبوغاً
وبالحبر أياديه الصغيرة

عينه نجمة صبح غرقت عبر ضفيرة

* * *

أنت يا ناسجة الأكفان في وهج الظهيرة
فارسي مات على دين الملايين الفقيرة
مات في أرض غريبة
مات ، لم تُعول على تابوته الأصفر ،
لم تعول حبيبة

الرجل الذي كان يغني

على أبواب « طهران » رأيناه
رأيناه

يغني .

عمر الخيام ، يا أخت ، ظنناه
على جبهته جرح عميق ، فاغر فاه
يغني ، أحمر العينين
كالفجر ، بيميناه
رغيفُ

مصحفُ

قنبلة ، كانت بيميناه

يغني ، عمر الخيام ، يا أخت
حقول الزيت والله

يغني طفله المصلوب في مزرعة الشاه .
وكان الموت أوواه

على مقربة منه ، على أطراف دنياه .
ونادانا وناداه

صياح الديك ، أخته !
وخلفناه في الساحة ، لا تطرف عيناه
- « وداعاً ! » -

قالها ، واختنقت في فمه الآه .

- « وداعاً ، لك يا طهران

يا صاحبة الجاه

وداعاً لك يا بيتي

وداعاً لك أماء »

ودوّت طلقة ، واختنقت في فمه الآه

* * *

على أبواب طهران رأيناه

يغني الشمس في الليل

يغني الموت والله

على جبهته جرح عميق ، فاغر فاه .

غياب إلى هند

حبيبتى ، وأنت تبحرين
إلى بلاد الخبز والسلام والنسرين
صلى لأجلي
إنني حزين .
أصنع أقماراً من التراب
أهيم في شوارع المدينة الموصدة الأبواب
أدفن في كتاب
رأسي .
وأستغرق في الغياب
لعل ، يا حبيبتى ، سفينة النجاة
تلوح في العباب
وأنت ، في مقدمها ، حمامة بيضاء
تحمل في منقارها زنبقة حمراء
تحمل لي هدية ، خطاب
من أم جندي
فأستغرق في قراءة الخطاب
رائحة الأمطار في حروفه
رائحة الأعشاب
من بحر قزوين ومن مناجم الأورال

من كوخ صياد على التلال
يقرأ في ديوان شعر أخضر الغلاف
تصوري ! الأصداف
والموج والطيور والانسان
تنبض في ديوان
ديوان شعر أخضر الألحان
في كوخ صياد على التلال .
حبيتي ما أجمل الليال !
وأنت في صفائها ملاك
يحملني طفلاً إلى هناك

* * *

حبيتي ، وأنت تبحرين
إلى بلاد الخبز والسلام والنسرين
صلي لأجلي
إنني حزين

يوميات سياسي محترف

النابحون في العاصفة

وشددت جرحك ، فالعذابُ هو الطريقُ إلى الخلاص
وعرفتَ معنى أن تكون ، فلا مناص
الليل يوغل في البيوت
وفي الشوارع من جديد
الليل يهبط مرةً أخرى
ويهبط في المحطات الجليد
مَرَّ القطار ؛ وأنتَ في عرباته طاوٍ وحيد
نحو الربيع ، ونحو شمس بلادك الحمراء ، يا قلبي ،
تسير على الصقيع
عُريانَ ، ها أن الذئاب
تعوي مع الموتى
وها أن الطريقُ إلى العراق
سدتهُ قطعان الذئاب
سدتهُ ، يا قلبي ، وأنتَ على مخالبتها تسير
عريانَ ، محترقاً ، كبير
... والنابحون تمزقوا
كضفادع النهر الصغير
باعوا الضمير
رقصوا على شتى الحبال

صنعوا قباب
من حبة ، لكنها شمس العراق
طلعت عليهم
أحرقت تلك الحبال
النابحون - وأنت فوق حضيضهم
نسرٌ يطير -

نبحوا وغصوا في النباح
دُحروا ، وعادوا للمزابل والجحور ، فيا رياح
هُبِّي ! ويا قلبي المُعرَى في الصقيع
شد الجراح على الجراح
ففي غدٍ يأتي الربيع
عبر المحطات الصغيرة والليالي والعذاب
عبر الضباب

* * *

النابحون تمزقوا
كضفادع النهر الصغير

١٩٦٤

الليل والمدينة والسل

في ليالي الموت والخلق ، وفي الأعماق
أعماق المدينة
لم تزل كالهرة السوداء
كالأم الحزينة
تلد الأحياء
في صمت ، وأعماق المدينة
تبصق الموتى على الأرصفة العُبر السخينة
في ذراع الليل
ليل السل ، كالأم الحزينة
لم تزل تبصق آلاف المساكين . . المدينة
في مقاهيها ، وفي حاراتها السود اللعينة
وعلى أشجارها الصُفر الدميمة
يُولد الخوف ، كما تُولد في أعماقها السفلى الجريمة
ومقاهيها القديمة
وأغانيتها الأليمة
والمساكين وليل السل والأخيلة السود اللثيمة
* * *
لم تزل كالهرة السوداء
أعماق المدينة
تُرضع الأحياء من ثدي الأمومة .

يوميات سياسي محترف

« هذه اليوميات صورة طبق الأصل لحياة وأفكار سياسي محترف كان يدعي الثورية ، قابلته في سنوات النفي والغربة ، ولكنه لم يلبث أن تداعى وسقط وانتهى وباع نفسه » .

- ١ -

أخرج للجمهور
لسانه ، وبحلقت عيناه في السطور
واعتدل الخطيب في وقفته ، ومال نحو النور
وارتفعت يده كالهراوة السوداء
فوق رؤوس الجالسين العور
ومال نحو النور
ثانيةً ، وهرّ في استعلاء
كان اللثيم يمضغ السطور
كان اللثيم ثعلباً مغرور
مثلي أنا الجمهور
وددت لو سحبتُه من أنفه المكسور
ليضحك المستمعين العور

لِيُخْرِجَ الْحَيَّاتِ
مِنْ كَمِهِ ، لِيَطْلُقَ الصَّيْحَاتِ
كَانَ « . . . » وَاحِداً وَمَاتَ
لَكِنَّهُ ، يُبْعَثُ فِي هَذَا اللَّيْمِ الثَّعْلَبِ الْمَغْرُورِ
يُبْعَثُ فِي نَبَاحِهِ الْمَحْرُورِ .
وَدَدَتْ لَوْ صَفَعَتْهُ ، صَفَعَتْ هَذَا الْأَبْلَةَ الْجُمْهُورِ
غَرَقَتْ فِي الْوَحْلِ ، عَلَيْكُمْ لَعْتِي
غَرَقَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ مَهْجُورِ
هَذَا أَنَا سَكْرَانٌ فِي مَدِينَةِ مَيْتَةِ الْجَذُورِ
عَقَارِبَ السَّاعَاتِ لِلْوَرَاءِ عَادَتْ
وَقَعَ الْمَحْذُورِ
فَالثَّعْلَبِ الْمَغْرُورِ
يَسْقُطُ تَحْتَ قَدَمِ الْجُمْهُورِ

- ٢ -

مِرَاةَ نَفْسِي ، أَيُّهَا الْمَاخُورِ
هَذَا سِلَاحِي ، هَذِهِ بَطَاقَتِي
أَلْقِي بِهَا فِي بَابِكَ الْمُنُورِ الْمَسْحُورِ
وَجَدْتِ فِي عَيْنِكَ أَمْسِي الضَّائِعِ الْمَهْدُورِ
عَشْرَةَ أَعْوَامٍ مِنَ الْحَرَمَانِ فِي غِيَاهِبِ الدِّيْجُورِ
وَرَاءَ أَلْفِ حَائِطٍ وَسُورِ
ضَاعَتْ سُدَى
وَهَلْ أَنَا أَرْحَفُ نَحْوِ النُّورِ

وفي يدي حز القيود وجراحات الهوى المقبور
شبابي الضائع من يرده إليّ؟ يا مرآة نفسي
أيها الماخور
روما تنام
وعيني أبدأ تبحث في المرأة
عن طائر الشباب ، عن فراشة ، فتاة
فلم أعد أقنع بالفتات
فافتح ذراعيك ، وضّم هذه الجراح
وليصق الجناح في الجناح
وليدّر المفتاح
وليقبل الشتاء
ولتغمر الثلوج هذي الظلمة الخضراء
فالموت في أحضانك الدافئة السماء
أحلى من الصهباء
فلتُحرق الجسور
وليقع المحذور

- ٣ -

إذا أردت أن تغش فاختر الضحية
ولتحذر الصديق
والزوجة الوفية
أقولها من كل قلبي لك يا رفيق
لأننا في خدمة القضية

أقولها من كل قلبي ، وعليك أنتَ بالبقية
إلى صباهُ الشيخ لا يعود والبلية
أن يسلم الورد ويفنى الشوكُ في حرائق العشية
فلتزرع الأشواك في حدائق الأعداء
ولتقطع الألسنة الخرساء
وليُمنح الأحياء
عدالة وهميةً عمياء
والسم والحشيش والصهباء
وليُصنع الفردوس من أحذية النساء
طابورنا الخامس في كل مكان يزرع المخاوف
ويركب السلاحف
إلى الغد الوضاء
أقولها من كل قلبي لك يا بُنيَّ
إذا أردت خدمةَ القضية
فالعَب على كل الحبال واحفظ الوصيَّة .

- ٤ -

هذا أنا أضربُ باليمين واليسار
أتباعي الأصفار
يا أيها المخثون . . أوقفوا عقارب الساعات
وأوقفوا الأنهار
فكل ما بنيته ينهار
أمام عيني . . يا لهذا العار

أوصيتكم أن تكذبوا لكنكم يا أيها الصغار
دستم تعاليمي ، وألقيتم بها في النار
هذا أنا أخبط في الجدار
رأسي وكنت الفارس المغوار
كنت إذا أخرجتُ لليل لساني طلع النهار
كنت إذا ركبت ظهر السلحفاة أسبق القطار

كنت إذا عطستُ قلتُم زأر الضيغم في القفار
كنت ، وكان في يدي الجمهور والسلطة والدينار
فما لكم يا أيها الأصفار
تبارحون المعبد المنهار
وتتركون الثعلب المغلوب في الأطمار
سكرانَ تحت الثلج والأمطار
هذا أنا أضحوكة الصغار والكبار
أضرب باليمين واليسار
أخبط في الجدار
رأسي لعل الفلك الدوار
لعلها الأقدار
يا أيها المخشون تُوقف الأنهار

لبورجوازي صغير يقرض الشعر

يشربُ بالمجان والدين - ولا يدفع - في بيروت

فإن صحا ، فالشام

جاريةً له ، على أقدامها يبول

عشرون عاماً ، وهو في دفتره الأسود يستجدي السكارى

نعمة الإصغاء

لشعره الهراء

بیسمة صفراء

يهزّ ردفه إذا ما قرأ الأشعار

وامتثل الأمثال

ويغمز الخمار

لعله الليل أتى بقادمٍ ليدفع الحساب

رأيتُهُ يبكي على الحسين

ويطعن الحسين

في كربلاء طعنةً الجبان في العينين

يقبّل اليد التي تصفعه لقاء ليرتين

بمال غيره كريمٌ وحفيٌّ مثلما المومس بالمجان

تضاجع الرجال

فهو مدينٌ في جميع علب الليل وفي البارات

للعاشرات ولأنصاف العذارى سيدات خدم الأسياد

فإن صحا في الشام
باع دم الشهيد في بيروت
وسجل الباقي على الحساب
يخاف من ذكر الذباب ولصوص العالم الصغار
لأنه يعيش في أكنافهم سكران بالمجان
ذبابة تلتمس الفتات
وأرنباً جبان
ينافق السلطان
تدمع عيناه إذا ما أيقظت « فيروز »
بحيرة الفيروز في غنائها ورشت الرموز
فوق جبال النور
لكنه يسقط بعد لحظة في وحل الأشياء
ملطخاً وغارقاً في العار
رأيته في سنوات الموت والحصار
مُمثلاً في الشام
دورَ الذي تعبده النساء . . دون جوان
دورَ صديق قائد الأركان
معلقاً من ذيله كالبيغاء الأعرور السكران
يشرب بالمجان
ينشد شعراً للصوص الثورة الخصيان
في هيئة الأركان

.....

إن جاع يوماً رفع الراية للأعداء

وجاد بالخد إلى الصافع والقفا إلى الحذاء
ولعق الحذاء
أو ضاع في شوارع المدينة
وجدته يبحث عن مستمعين في دخان البار

١٩٦٤

السيد البرميل
قفاهُ بطنُهُ وبطنه قفاهُ ذرب اللسان
يحفظ شعر المتنبي ، ويقول الشعر أحياناً بلا أوزان
لكنه يخطيء في الإملاء والإعراب
يلقط في عيونه الحروف والخطوط والأرقام
يُحصي نقود العابرين وهي في جيوبهم تنقص أو تزداد
يُعيد ما يقوله أو قاله الإمام
في خطبة الجمعة أو في مأتم يُقام
يتقن فن الكذب والتزوير في الأحكام
يركب كل موجة ، لكنه يسقط قبل شاطئ الأمان
ثدياه ثديا مومسٍ عارية في الشمس
تفتح ساقها لقاء فلس
له قرون التيس والخرتيت
وضحكة الخنيث
لسانه حبل غسيل في الضحى وفي الدجى منشار
تُنشر فيه جثث الأموات
وقطع الحديد والأحجار
وخرقةٌ تُمسح فيها كلمات الله
رأبته في مدن الشرق وفي أسواقها يبصق في عيونه الحداد

وبائع الخضار والبطار
وهو على الرصيف في مذلة القواد
ممددٌ ، يتبع في عيونه وقع خطى الأصوات والشفاه
ويقرأ المكتوب في دفاتر الأطفال
وَمِزَق الجرائد الصفراء
وكتب الأسفار
ويتبع الطيور للمنفي ويبنى دونها أسوار
وينصب الشرك
لعاشق النور الذي تأكله النسور فوق السور
وهو على صليبه مرتحلٌ وكائن موجود
ورافض مرفوض .
والسيد البرميل
يظهر في كل زمان ومكان شاهداً ، مزوراً قواد
في حرم الطغاة
وفي طوابير اللصوص وصفوف مخبري السلطات
يسرق أسلاب الضحايا ساعة الإعدام
يتلو على الجلاذ والضحية الآيات
وعبر التاريخ والعظا
وينتهي كما انتهى اللصوص والشطار
عبداً إلى أسياده وخادماً للبيع والإيجار .

البغاوات التي تقول نعم

حلم الممالك انتهى
وتمت الرواية
فليحفروا قبورهم
وليُسدل الستار فوق لعبة النهاية
بياذقُ مقطوعة اللسان
تدرج في الأكفان
رأيتها في ليل منفاي
وفي مقابر الدخان
تهرف كالقوادة العجوز في مزابل النسيان
بالت على أقدامها الثعالب
وعششت في رأسها العناكب
تصطاد في وحدتها الذباب
تصطنع الألقاب
تزهو بريش الآخرين ، تفرع الطبول
لكل من هبّ ودبّ ، تسحب الذبول
رأيتها في عربات النفي
في مذلة البياذق المقطوعة اللسان
البغاواتُ :
- نعم يا سيدي ! الشمس بالمجان

تشرق من جييك يا سلطان
- هبنا كفاف خبزنا اليومي من لدنك يا رحمن
- سنغسل الأرض ، سنكنس الليالي
- سنكون خدماً خصيان
- سنمسح الأكتاف والأحذية الجرباء
- سنرقص المساء
على الجبال ، هاتفين لك بالدعاء
- سنرُقص النمل ، سنصطاد لك العنقاء
فنحن ذيلك الذي تهش فيه ، تقهر الأعداء
البيغاوات ، نعم ، يا سيدي
تهرف كالقوادة العجوز في مزابل النسيان
تجر ذيل العار والهوان
تبني من الرمل قصوراً ، تهدم البنيان
البيغاوات ، نعم ، يا سيدي
في قفص الدخان
حطت وطارت ثم حطت تفرع القضبان

* * *

حلم الممالك انتهى وتمت الرواية
فليحفروا قبورهم ، وليسدل الستار فوق لعبة النهاية .

١٩٦٤

صليب الألم

في طريقي إلى الظلام البعيد
صلب الليل بالفراغ وجودي
لم أعد، لم أعد سوى بعض شيء
سحقته سخرיתי ووعيدي
لظلال الفناء أعصر قلبي
ولأبنائه أحزّ وريدي
كم مشى «قيصر» عليّ لنصر
وتغنّى بمجد «فرعون» عُودي
وبنيت الأهرام والقيظ يشوي
رأسي المتعب الحزين وجيدي
ولثمت الأيدي التي لطمتني
وتفانيت في هوى معبودي
ولكم روجي المهينة بيعت
رغم إملاقها بسوق العبيد
وقضاة التاريخ داسوا ضريحي
وأدانوا بالافتراء شهودي
ومددت الجناح للأفق حتى
مسّ قلب الإنسان ، مسّ نشيدي
فإذا بالضياء يملأ كوخني

والملايين تلتقي في حدودي
وإذا لم أزل كما كنت قبلاً
ذلك العبد ، لم أزل وقيودي
المناحات في دمي ، في ضميري
سمرت بالفضاء نعشي الجليدي
أين ؟ أين النسور تلقي بلحمي
للثعابين والضباع السود
أين ظلي ؟؟ أعاد مسخاً كريهاً
تائهاً في ظلام دربي البعيد

* * *

يا صليب العذاب ! خُذني حطاماً
ويك خذني ! إلى صليب جديد !

١٩٥٠

الباب المضاء

الليل والباب المضاء وأصدقائي الميتون

بلا وجوه يحلمون

بالفجر والحمى وصنَّاع الظلام

يتاجرون بما تبقى من سموم

« كل الدروب ، هنا ، إلى روما تؤدي »

والذئاب

تسطو على مَنْ لا كلاب له ، وسفاكو الدماء

يقامرون بما تبقى من رصيد

« لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى تراق على جوانبه الدماء »

والليل والباب المضاء

والشارع المهجور والقتلى وأقنية المياه

والريح والدم والمداخن والهوام

من سطوة الإزهاب تزحف في الوحول

محمومة ، عمياء تزحف في الوحول

والأصدقاء الميتون من المصانع والحقول

كمياه نهرٍ هائج يتدفقون

ويهتفون :

بموت سفاكي الدماء

وسقوط صنّاع الظلام
والجوع والحمى وأشباح النساء
وصبية يتوعدون :
« الليل ولّى
نحن أحرار
لنا حق المصير »

والشارع المهجور
والباب المضاء موارب ، دام ، يواجهه قتيل
كحمامة بيضاء
نائمة

يواجهه قتيل

والشارع المهجور تذرعه الكلاب
وفصائل الجند المدجج بالسلاح :
« قف في مكانك ، أيها الوغد الزنيم
باسم النظام ! »

ويهر آخر : « أيها النذل اللئيم
من أنت ؟ ماذا كنت تهتف ؟ أيها النذل اللئيم »
والجند والخوذ الحديد
والأصدقاء الميتون
« يا يسقط المستعمرون

ومنظمات دفاعهم ، يا يسقطون »
وتتر طلقات البنادق : « أيها الجندي الحزين
إننا رفاقك أيها الجندي الحزين

إنا رفاقك في المصير
في الفقر ، في المرض اللعين «
« يا يسقط الأوغاد ، أعداء الحياة
السارقون ربيعنا ، يا يسقطون
صوّب سلاحك نحوهم ، نحو اللصوص
إنا رفاقك ، أيها الجندي الحزين «
والأصدقاء الميتون
كمياه نهر هائج يتدفقون
والليل والحمى وأضواء المقاهي الخاويات
وعصائب البوليس تفتحم البيوت :
« باسم العدالة ، أيها الجرذ الحقير
البابَ إفتح ! » والصدى والهاربون
وسماء بغداد الحزينة والبغايا والنجوم
والميتون الأصدقاء
والشارع المهجور يغمره الضياء !

إلى ماوتسي تونغ الشاعر

يا أيها الليل الطويل
هذا صياح الديك من أعماق قارتنا يبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل^(١)
أبدًا جبال الموت يحجبها الضباب
والثلج والموتى وقطعان الذئاب
وحائط الصين العظيم
وعيون شاعرنا الجريح
تغفو على بيت من الشعر القديم :
« أطفال بكين العراة
سيزرعون الورد يوماً في الصخور
ويطلعون الفجر من ليل العصور
ومن أساطير الطغاة !

* * *

يا أيها الليل الطويل
هذا صياح الديك من أعماق قارتنا يبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل !

(١) البيت الأول والذي يليه مقتبساً من قصيدة لماوتسي تونغ كتبها خلال الثورة الصينية .

لم يبق إلا ساعتان
ويطلع الفجر العظيم
من المصانع والحقول
ومن دموع الأمهات
ومشاعل الثوار والديك المبشر بالنهار
أبداً يصيح
وحمامة بيضاء يطلقها الصغار
عبر الميادين المضاءة والموانئ والبحار
حيث الجماهير السعيدة في انتظار
ميلاد آسيا من جديد !

١٩٥٤

عشرون قصيدة

من

برلين

إلى القتيل رقم ٨

في معسكر اعتقال بوخن فالد

قميصه الممزق الأردان
وفرشة الأسنان
وخصلة من شعره لوّثها الدخان
وفي ثنايا جيبه
بطاقة الحزبِ
وحول رسمه خطان أحمران
وعبر زنزانتة
مقبرةٌ تُعول فيها الريح والذؤبان
« سنلتقي ! »
وأطبقت عليه في جليدها الجدران
وسيق للموتِ
كما تُساق للمسلخ
في مدينتي
الخرقان
فإن مررت يا أخي
بفرشة الأسنان
فلا تقل بأنها نفاية في سلة النسيان

لأنها الشاهدة الوحيدة ، اليومَ
على جرائم الفاشست
في حق أخي الانسان

برلين ٣ - ٥ - ١٩٥٩

سبع سنابل

إلى أرنست تيلمان

سنابل سبعٌ من اليونان
من أمّ ديمتروف
من صوفيا
ومن أطفال كردستان
حملتها اليك ، يا رفيقنا
تيلمان
المجد للانسان
لعالمٍ يُولد تحت الراية الحمراء
تحت راية العمال
يا رفيقنا تيلمان .
لحبة القمح التي تمدّ عبر قبرك الأجفان
للطفل
والكادح
والفنان
المجد للبحر وللربان
فانهض
فإن الحبّ والأغان
والخبزَ للجميعِ .

في بلادك الخضراء
يا رفيقنا تيلمان .

بغداد ٦ - ٥ - ١٩٥٩

الشمس في معسكر اعتقال
تحرسها الكلاب والتلال
لعلّ ألف ليلة مرّت
ولا تزال
« بنلوب » في انتظارها
تغزل ثوب النار
أو « أوليس » في جزيرة المحال
يرسف في الأغلال
لعلّ في « الأولمب » لا تزال
آلهة الإغريق تستجدي
عقيم البرق في الجبال
طعامها النيذ والخبز
وآلام الملايين من الرجال
قلتُ سلاماً!
وبكى قلبي
وكان الفجر في الأطلال
يُضيء وجه العالم الجديد
وجه شاعرٍ يحطم الأغلال . .

برلين في الفجر

غدائر الفجر على أقدام
تمثال جنديك
يا برلين
أسراب من اليمام
وغصن زيتون وأقواس من الغمام
أموت من أجل عناقيد الضياء الخضر
في كنيسة
صلاتها تُقام
من أجل أطفالك
يا برلين
من أجل العيون الزرق والسلام
أموت في كأس حليب ساخن
في زهرة صوّحها الغرام
أموت من أجلك
تحت الراية الحمراء
يا مدينة الأحلام

إلى هانسن كروتسبرغ

في مصنع تيلمان

مدخنةً تناطح السماء
توزع الحلوى
على الأطفال في المساء
وتهب الضياء
والثوب والكتاب والدواء
من يزرعون الورد في بلادك الغناء
فلنرفع الكأس على نخبك
يا مدخنة تناطح السماء
ففي غدٍ يرتفع البناء
أعلى فأعلى
آه يا صهباء
أنا صريع الأعين الزرق
صريع النار في الأفران ، يا صهباء
أعلن في حضرتك الولاء
للعالم الجديد ، للمدخنة السوداء
فليكتب الدخان في السماء
من ههنا مرّ صريع الحب في نهاية ابتداء

بغداد - ١٣ - ٥ - ١٩٥٩

إلى أمهات جنود المانيا الديمقراطية

ألفُ حبيب عادَ
فانتظرت أن تعود
وألف أقحوانةٍ
تفتحتُ
عبر الليالي السود
فما لقلبي ظل في انتظاره
وظلت الحدود
مغلقة ، يحرسها الجنود
« يا ولدي ! »
وهزّ ثلج العالم المهود
واستيقظ الرجال
والسلاح في أيديهم ورود
فما لقلبي ظل في انتظاره
وظلت الحدود
تفصل ما بيني وبين ولدي
يحرسها الجنود

بغداد - ١٣ - ٥ - ١٩٥٩

إلى العامل بيتر بابرتز

من درسدن

كان وحيداً
كان كالعصفور في الشتاء
في حانة ، أذكر أن بابها المضاء
كان وحيداً مثله في وحشة المساء
يا ألف عين نظرت
يا ألف شوق جاء
وغاب في الظلماء
كانت حياتي مثله رجاء
وقلتُ : يا بحيرة الغناء
لن أعبّر الليلة ، فالسما
بعيدة، ولوعة البكاء
والداء
ينهشني . وقال : « ما تشاء »
وأخرج الربيع من معطفه
وقال لي أشياء .
أذكر أن يده كراية حمراء
مرّت على حزني
على صحراء

ليلتنا الموحشة الجوفاء
أذكر ان فرحة زرقاء
دبت بروحي ، وبكت أشياء
في غمرة اللقاء

بغداد - ١٤ - ٥ - ١٩٥٩

الشعر يتحدّى

سأنفخ الرماد في عيونكم
وأدلق الخمر على جباه
كباركم :
يا أيها السادةُ
يا أشباه . . .
الشَّعر لا تطاله أوامر النَّقادِ ، الشاعرُ في رؤياه
يقودكم ، سامانَ ، من أنوفكم
عبر التعاساتِ
ولا يُقاد كالحصان في سُراه
فلتخفضوا يا سادتي الجباه
لأنكم لم تعرفوا الوحشة والفقدان في حياتكم
لم تعرفوا - أوّاه -
طعمَ الدم المرّ ولا الحب الذي يموت في صباه
لأنكم لم تعبروا أسوار بغداد ، ولم تحترقوا
يا سادتي ، أوّاه
الشاعر الشاعر يقضي نجه الليلة في نجواه
ممزقاً - عيناه
تستجديان الحب والحياة .

رحلتُ في الفجرِ
ولم أترك
سوى بطاقة بيضاء
يا قُبَلَ الليل ، ويا مخدعها المضاء
عيونها تحرقني
عيونها الزرقاء
حملتها معي إلى الصحراء
وصحتُ يا صحراء ، يا صحراء
برلين في حقيبي
برلين والربيع والسماء
وحبها
وصحتُ ، حتى هدني الإعياء
وحدي على اللهب ، وحدي
دونما عزاء
مشيت حتى آخر الدنيا
وفي حقيبي رجاء
أن نلتقي يوماً
وأن نبكي معاً
في ليلة بيضاء

عيونها تحرقني
عيونها الزرقاء

بغداد - ١٦ - ٥ - ١٩٥٩

إلى مؤتمر السلام في برلين

لمرور عشر سنوات على حركة السلم العالمي

قبة البحار
وعامل المنجم والتلميذ والطيار
سربُ عصافيرٍ على بحيرة النهار
وددتُ لو قبّلتهم
قبّلتُ كل الناسِ
يا صديقنا البحّار
تعال ، خذ قلبي
ودعني لحظة أختار
أنا شهيد العشق في بلادكم
أنا طعام النار
لا تتركوني والعصافير على مائدتي
تلتقط الأزهار
دعني أغني لك ، يا صديقنا
أغنية الأنهار
في وطني البعيد . . دعني لحظة أختار
ففي غدٍ يستيقظ الصغار
ليصنعوا من حبنا أقمار
ويجد اليمام في بيت عدوي عشّه
ويحتمي الكنار

إلى مس بيجمام

جرائد المساء
تسهب في الحديث عن مؤتمر الكتاب في موسكو
وعن أشياء
نسيتها ، لكثرة الأنباء
لأنني ظللت في المقهى
وظل الصمت والمساء
يدب في نفسي
وفي قهوتنا السوداء
وبعدها انفجرت في البكاء
لأنني أردت أن أقبض في كفي على السماء
وأشرب الخمرة في قبتها الزرقاء
غنيتُ
ثرثرت
تباكيت على أشياء
نسيتها ، لكنها الآن بلا رجاء
تطفو وتطفو
فوق سطح الليل والنوافذ الخضراء

إلى ذكرى ديمتروف

في برلين

مسيحنا كان بلا صليب
كان بلا اكليل شوكٍ
كان في صراعه الرهيب
يوقد ألف شمعةٍ في ليلنا المعذب الكئيب
ألف يهوذا
حوله كانوا
ولكن يد الشعوب
أقوى من الموتِ
ومن محاكم الفاشستِ
والتعذيب .
كل مساء ، كان من جراحه ، ألف يهوذا
يلعقون الدم ، في صراعه الرهيب
لكنه ، كان بلا صليب
يسخر من قضاته
من صالبي المسيح ، من مدبري الحروب
باسم الملايين من الشعوب
لأن صوفيا ، أبداً ، في قلبه ، لأنها آسرة القلوب

بغداد - ١٨ - ٥ - ١٩٥٩

ميدان ماركس - أنجلز

في أول ايار

صوت لنين الأخضر العميق لا يزال

يهدر في العالم

والرايات في الجبال

تسد درب الشمس

والآلات

والأنوال

أسمعها

تنبض في قلوبكم

يا إخوتي العمال

ألمح وجه العالم الجديد في عيونكم

في أعين الأطفال

في عبرات أم « فاتزاروف »

في قصائد « بريشت »

وفي أقوال

لنين وهي تلهم الأجيال

وتصنع الرجال

ألمحها في وطني تزلزل الجبال

يا إخوتي العمال

بغداد - ١٨ - ٥ - ١٩٥٩

لن تقتلونني أيها الأوغاد
لن تحرموني
من ضياء الشمسِ
والإنشاد
لن تنصبوا الأعواد
للحب ، للشاعر ، للأوراد
لن تستبيحوا قصر أحلامي
ولن تخوفوا الأطفال بالأصفاد
لن تسرقوا خزائن الفن
ولن تستعبدوا بغداد
لن تجدوا
يا أيها الفاشست
في انتظاركم
إلا طبول الموت والرماد
مدينتي
تفتح للشمس ذراعيها
فعودوا !
أيها الأوغاد

أغنية إلى غوتيه وشيلر

... وبين أن تكون لي مطرقةً
أو أن أكون ، لك يا صديقنا ، سندان
آثرت أن أبحر في الفجر بلا ربّان
وأن أرى العالم في عيني
وأن أموت تحت راية الإنسان
آثرت أن أبلل الخبز بدمعي
وأغني فرح الأحزان
آثرت أن أدا
ولا أدين الناس والزمان
آثرت أن أقامر ، الليلة
يا حبي
مع الشيطان
وأخسر الرهان
قلبي شرأع
مزقتهُ الريح والأشجان
هل بعد عبادان
من قرية ، هل بعد عبادان
ميناؤنا القادم ، لن يكونَ
لن تبصره عينان

إلى آنا سيكرز

مؤلفة كتاب « الأسوات يبقون شبابا »

دمّ على الأشجار
على جباه الحرس الأسودِ
والأحجار
على عيون القمر المصلوب في الجدار
على المصابيح
على الأزهار
على زجاج عربات النوم في القطار
حتى كأن النار
أتت على العالم
فاستحالت الأرض إلى قفار
تغمرها الصلبان والصلبائر
لكن أيدي الميتين ، وهي في احتضار
خبأت البذور في الأرضِ
فجاءت بعدها الأمطار
وهكذا عدنا من الحرب بلا أوسمةٍ أو غار
فلتفتحوا عيونكم
وناضلوا !
قبل اشتعال النار

إلى البروفسور يوتكر

عميد المعهد الآسيوي في برلين

عيون بوذا ترصد الآفاق
تحمي حقول القمح من مناجل السُّراق
ترافق الثوار والعشاق
عبر البحيرات التي تطفو على مرآتها الأوراق
والقمر الأزرق في المحاق .
قرأتُ أمسِ
أن لصباً جائعاً آفاق
جاء مع الحجاج والشتاء والطراق
فاقتحم المعبد في سكينه
وغاب في الرّواق
ومنذ ذلك اليوم ، لم تكتحل الآفاق
ولا حقول القمح والعشاق
بعين بوذا
فبكاه الناس ، في ملاجئ الأيتام والأسواق
لكن نجماً أحمرّاً .
فوق جدار الصين كالعملاق
شعّ ، فماد الأفق بالثوار والرفاق
وعادت الحياة للأرضِ
وعاد الفجر والإشراق

بغداد - ٢٠ - ٥ - ١٩٥٩

إلى صديقي تيفلت

« أراك في بغداد »
واختلجت أهدأبه وقال : « في بغداد »
كنت حزيناً
- عندما ودعني -
ممزق الفؤاد
كنتُ بلا أجنحةٍ ، أخترق الأبعاد
أدق باب المستحيلِ
أنفخ الرماد
أكلّمُ الجماد
لعلني
أطير فوق العالم الصغيرِ
في عشية الميلاد .
أكون سندباد
أبحر في سفينة مثقلةٍ بالعاج والأوراد
أحمل للأطفالِ
في الأعياد
هديةً من جزر الهندِ
ومن بغداد

إلى إيرين أوبنهاو

تلاقت الأهداب
تكسر الجليد في مواعد الليلِ
وغنى بلبلاً
في الغاب
يا ثوبها الأسود ، يا دوامة العذاب
غرقتُ ، فالنيذ في الأكواب
يشربني
حتى يكاد الباب
يدور كالطاحونة الحمراء في الضباب
غرقتُ ، النجدة !
فالأهداب
تأكل لحمي
تأكل الأعصاب
هرمتُ ألف مرة
وعاد لي الشباب
في هذه الليلة من أيارَ
في بحيرة الشراب .
لا تتركيني ، فغداً أموت عبر الباب

كتبتُ فوق الريح والجليد
اسمك ، يا برلين
يا غاليتي
فوق جباه الغيد
كتبتُ أن العالم الجديد
لن تستطيع وصفه بطاقة البريد
وأني أحببت
- والليل على غرامنا شهيد -
صباحك الوليد
وشعرك الأشقر ، يا غاليتي
فوق جباه الغيد .
أكلتُ من خبزك
نلتُ منك ، ما أريد
غنيتُ للأنهارِ
والشموعِ والعمال والحديد
كتبتُ فوق الريح والجليد
اسمك ، يا برلينُ
يا غاليتي
فوق نجوم الأفق البعيد

كلمات لا تموت

فارس الحزن

عاد من عالمه الموحش مقررًا

إلى وحشة سجني

للمصوص الشعر

للموتى ، يغني

للسكارى

آه يا برد الصحارى

لا تدعني

للممالك أغني

آه يا قيثارة الثلج

ويا فارس حزني

لا تدعني

مثل عصفور على الأبواب أهرم

مثل ينبوع مسمم

مثل منجم

أنا من أعماق سجني

أوقظ الإنسان في قلبك

يا فارس حزني

أوقظ الحب

الذي داسته أقدام الغزاة

أشعلُ النيران في ليل حياتي
آه باركُ كلماتي
لا تدعني
مثل شحاذ على الأبواب في الليل أغني
لا تدعني في الصقيع
تأكل الديدان والبرد ربيعي
إنه الإنسان في منتصف الليل يغني
إنه صوتك يدعوني
أيا فارس حزني .

القاهرة ١٩٥٧/٨/٧

١٢ قصيدة إلى العراق

١ - هدية

شعبي العظيم
إني وهبتك كل ما في عالمي الأرضي
من حب عميم
حبي لأطفالي
وحبي للعصافير الصغيرة والنجوم
وغمست بالدم ريشتي
وعبرت في شعري التخوم
بلا بطاقة
وجمعت من أزهارك الحمراء باقة
وغداً أقدمها إلى ولدي الصغير
هدية المجرى العميق إلى الغدير

٢ - الحروف الخضر

إن كان ليس لديك « حزب » أوجريدة
فحروف منشوراتك الخضراء
ساطعة جديدة
في قلب كل مناضلٍ ،
أبداً جديدة
ولديك حزب راسخ البنيان
يا شعبي العظيم
في كل قلب ، راسخ البنيان
ينتظر الرفاق
وتظل في ليل العراق
بحروف منشوراتك الخضراء
تحتضن الرفاق

٣ - شعري

شعري جواد جامح يعدو بفارسه الحزين
نحو الينابيع البعيدة
في الجبال
بفارس الأمل الحزين
ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين
وأشعلوا نار الحنين
في ليل عالمنا
ودكوا بالأناشيد العروش
ماذا على الشعراء لو بصقوا على هذي النعوش
يا قلب لا تهرم !
فإن أماننا حباً عظيماً
حبي لأطفالي ، لشعبي
للحروف الخضر
لا تهرم ! فإن أماننا حباً عظيماً .

٤ - الفن للحياة

سأدوس في قدمي
دعاة « الفن » والمتحذلقين
وعجائز الشعراء
والمتسولين
وأحطم الأشعار فوق رؤوسهم
فدمُ الحياة
يجري بأعراقي
وإني لن أخونَ
قضية الإنسان ، إني لن أخون
فلتذهبي يا ربة الشعر الكذوب الى الجحيم
فأنا هنا أستلهم الأشعار من حبي العظيم

٥ - الشعر والثورة

« الشعر أعذبُه الكذوب »

قالوا

وما صدقوا

لأنهمو تنابلة وَعُور

كانوا حذاء للسلاطين الغزاة

بلا قلوب

يا شعر حطم هذه الأوثان

واقترح الخطوب

وتعال نرتاد البحار

ونجتلي نجم الشعوب

أنا ذاهب كي أقرع الأجراس

كي أطأ اللهب

٦ - حتى الموت

ذاك الرفيق الأسود العينين ساهد
نزعوا أظافره
وظل طوال ليل الليل صامد
ضربوه حتى الموت
لم ينبس
وظلّ طوال ليل الليل صامد
يا أسود العينين
يا حبي اليك يدي وسائد
يا أسود العينين
إن الليل شاهد
ماذا أقول وأنت في
أيدي الوحوش ، الليل ، صامد

٧ - لو قلتها

لو قلتها لنزعتُ عن كفي الأظافر
لسملتُ عيني
وانتعلتُ البرق طائر
وخنقتُ في قلبي أناشيدي
وحطمتُ القيثر
لكنك الإنسان ،
والإنسان قاهر
يا أسود العينين
يا حبي المغامر
ستعيش في قلبي
وفي شعري إلى أبد الأدهر
ستعيش جباراً مغامر

٨ - انتظار

جلادك المسكين يضحك في غباء
قالوا له : عذِّبه
حتى تصبغ الأرض الدماء
قالوا له . . ماذا ؟
وفي عينيك عصف الكبرياء
يا أسود العينين
يا حبي المخضب بالدماء
يا عندليبي
إن أمك في المساء
في كل يوم تفتح الشباك ، لكن المساء
يمضي ولا تأتي
فتجهش في البكاء

٩ - أغنية إلى بغداد

بغداد بَرَحْنَا الهوى ،
لكن حراس الحدود
يقفون بالمرصاد
حراس الحدود
يا مَنْ أغنيها ،
فتسألني لماذا لا أعود ؟
لِمَ تسأليني ؟
والليالي السود دونك والسدود
أنا في دمشق لسانك العربي
قيثار وعود
أنا من دمشق أمد أجنحتي
لثورتنا وقود

١٠ - ٢٧ كانون الثاني

يا جسرنا الدموي ، يا خيط الضياء
يا فجر وثبتنا المرير
حدّث فإنّ دم الضحايا الأبرياء
ما زال يجري
عبر ليل مشانق السجن الكبير
حدّث
فإن الثورة الكبرى
على الأبواب
حدّث يا دمّ الجسر الأخير
بغداد ما نامت
وهأنذا
أراها في ضحاياها تسير

١١ - قيس

يا قيس يا ولدي
تعلمتُ الحياة
من موت أحبابي ، تعلمت الحياة
فَلِمَ الرحيل ؟
وأنت في عمر الورود
يا نجم وثبتنا الشهيد
لم الرحيل ؟
صيححات أمك لا تزال
في قلب بغداد المحطم ،
تسأل النجم البعيد
يا قيس يا ولدي
ويا حبي الأخير ، متى تعود ؟

١٢ - عناق

رسالتي
كانت اليك
بسيطة مثلي
ومثل غناء عمال العراق
مثل العناق
إني مددت يدي
إلى كل الرفاق
في كل حرف من حروف سطورها
المتوهجات
وغمست بالدم
ريشتي
وكتبت هذي الأغنيات

دمشق - ٢٦ - ١٢ - ١٩٥٧

أجنحة الشاعر في بلادنا جليد
تذوب إن طارت إلى البعيد
قبعة الثلج على « صنين »
تحرقها الشمس
فلا يبقى سوى الرماد
يكفن الحقول
ويغمر الوديان بالذهول
من قلة الخيول
شدوا على الكلاب
سروجهم ، ونبحوا السحاب
أصبت بالقرف
منكم ومن أشعاركم يا ماسحي أحذية الملوك
يا خفافس الخزف
في حرم الطغاة
يجبو الشعارير
وينمو القمل في أشعارهم
ما أوحش الحياة
ما أبعد الطريق

وما أقل الزاد
كفرت بالشعر الذي يصنع من سلالة الكلاب
ناساً ، ملوكاً ، قادةً ، أرباب
ربيعنا مات
وها أزهاره الحمراء في السلال
تباع في مدينتي
في السوقِ
يا رفيقة الليل
الله في مدينتي يبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرد طريد
أراده الغزاة أن يكون
لهم أجيراً ،
شاعراً ،
قواد
يخدع في قيثاره المذهب العباد
لكنه اصيب بالجنون
لأنه أراد أن يصون
زنابق الحقول من جرادهم
أراد أن يكون
الملك لك
ما أبعد الطريق
الحمد لك

وما أقل الزاد

الله في مدينتي يباع في المزاد

دعارة الفكر

هنا ، رائجة ، دعارة الأجساد

لأنه لا يقبل القسمة ، يا حبي ، على اثنين

عادوا به محطماً ، مقيد اليدين

عقارب الساعة لا ترجع للوراء

قطارنا مرّاً

فلا جدوى من البكاء

بيروت - ٢٣ - ٤ - ١٩٥٨

ها أنتِ
هذا أنا
ماذا سيجدي السنا؟
من بعد أن سمّموا
في حقدهم خبزنا
بحيرةً من دمٍ
تفصل ما بيننا
وعبرها أرضهم
تصقل أغلائنا
وليلهم
ليلهم
يخنق أصباحنا
وكلبهم في المدى
ينبحُ أمواتنا
حبييتي . . أحرقوا
بالأمس أشعارنا
حبيبي . . شوّهوا
بالصمت تاريخنا
حبييتي . . موتوا

بالسل أطفالنا
حبيتي . . أغلق الشتاء شباكنا
لا شمس
لا نسمة
تطرق أبوابنا
إنا هرمننا ، وها
أنت وهذا أنا
ثلج ليالي الهوى
يغمر بستاننا
لا فأس
لا صيحة
تشعل أحطابنا
حبيتي
ها أنا
أحرق نفسي هنا
كي أكسر الثلج
والأغلال
يا بؤسنا
إن أشرقتم شمسهم
ونحن في سجننا
نجتر أحزاننا
حبيتي
إن همو

لم يرحموا حيناً
لكننا لم نزل
نحبُّ
لكننا

دمشق - ١٥ - ٢ - ١٩٥٨

لا شاعر أفأق

لا عشاق

لا شهداء

لا قطرة ماء

لا طاحونة

في هذي الأرض الملعونة

أرض الدينونة

أرض الصلوات الخرساء

أرض الأموات

الغرباء

الأشرار

فتعال ، تعال !

حيث الأسمال

حيث الشعراء ،

الشهداء

الأحياء

في مدن الفقراء الكبرى

في المجرى

في الأعماق

يحترقون
ينتظرون
في الساحات الملتهبة
بعيون مكتئبة
فتعال ، تعال !
فهناك رجال
ينتظرون
يحترقون
ليضيئوا المدن الأرضية
ليغنوا الحرية

المسيح الذي أعيد صلبه

الى جميلة بو حيرد

كل ما قالوه كذب وهراء
اللصوص ، الشعراء
الحواة الأغبياء
إنني أحسست بالعار لدى كل قصيدة
نظموها فيك ،
يا أختي الشهيدة
وأنا لست بصعلوك منافق
ينظم الأشعار مزهواً
وأعواد المشانق
لأخي الانسان ، بالمرصاد
أعواد المشانق .
وأنا لست سياسياً ،
خطيباً ،
فالمناير
طردتني منذ أن صحت بوجه الناس
« كلا ! أنا تائر
كل ما أملكه ، يا اخوتي ، حبي اليكم ،
بنديّة »

وأنا لست بتاجر
يتغنى بعذاب البشرية
يُحسن الرقص
على أمواتنا الأحياء
يا أخت ،
يغني بشهية .
إن طعم الدم
في صوتي
وفي أبيات أشعاري الشقية
مثل سدّ يقف الليلة
ما بيني
وبين البربرية
إن جيلاً كاملاً
مات
نهار اليوم
يا أختي الصبية
يا جميلة
إن ثلجاً أسوداً
يغمر بستان الطفولة
إن برقاً أحمرأ
يحرق صلبان البطولة
إن حرفاً ،

مارداً
يولد في أرض الجزائر
يولد الليلة
لم تظفر به ريشةُ شاعر

دمشق - ٧ - ٣ - ١٩٥٨

إلى مكسيم غوركي

منازل الأحباب في الدرب

مضيئة

فانزل على الرحب

بحارة « الفولغا »

وعمال « مدريد »

يغنون من القلب :

رفيقنا !

الجيال مكسوة

بالتلج

والسماء بالسحب

ولم يزل انساننا باسماً

للموت في عشية الصلْب

والأرض من أعماقها

لم تزل

تفيض بالعطاء والخصب

ولم يزل

« لينين »

في صوته الأخضر

إنساناً من الشعب

ولم تزل
موسكو
على عهدا
منارة للسلم والحب
قوافل ، قوافل في المدى
تصنع فجر الغد في الدرب
رفيقنا
الجبال مكسوة
بالثلج
والسماء بالسحب
ولم يزل
انساننا باسماً
للموت
في عشية الصلب

دمشق - ٣٠ - ٣ - ١٩٥٨

كلمات لا تموت

كلماتي
لن تهرم
كلماتي
لن تهزم
كلماتي
لن تصدأ
كلماتي في المرفأ
تنتظر الإبحار
يا قلق الأسفار
هبني قيثاره
هبني نواره
فأنا أنتظر المد لأرحل
يا منديلاً
بالدمع مبلل
وأنا أبصر
وسمائي تمطر
عبر الظلمات
أحزان الفقراء
وهمو سيكون

تحت الشرفات
في المدن المقهورة
في المدن المقرورة
يا قلق الأسفار
كلماتي
أزهار
لن تدبل
فلنرحل !
فسيأتي شاعر
من بعدي
في باقة ورد
في مشعل
يقتحم الأسوارا
ويضيء الأنوارا
وسيصنع من كلماتي
من حبر دواتي
مدناً وحدائق
ونجوماً ومطارق

دمشق - ٢٥ - ٢ - ١٩٥٨

الشمس في مدينتي
 تشرقُ
 والأجراس
 تفرع للأبطال
 فاستيقظي حبيبتي
 فإننا أحرار
 كالنار
 كالعصفور
 كالنهار
 فلم يعد يفصل فيما بيننا جدار
 ولم يعد يحكمنا
 طاغية جبار
 لأننا أحرار
 كالنار
 كالعصفور
 كالنهار
 وشعبنا
 أقوى من الإعصار
 ومن حراب الملك المنهار
 فجيشتنا العظيم

يا حبيبي
حطمها ، وسار
يعانق الشعب
كما يعانق التيار
شواطئ البحار
فاستيقظي حبيبي
فإن في مدينتي
الأعراس
تُقام
والأجراس
تقرع للأبطال

موسكو - ١٦ - ٧ - ١٩٥٨

الأميرة التي كانت تحب مغنيها

الى ليودا ابغارفا

لأن عيوني جميلة
لأنك أحببتني في الطفولة
لأن الليالي طويلة
لأن العذاب ،
لأن الكهولة . . .
لأنك واحةٌ عمري الظليلة
لأن دموعي قليلة
لأنك ، يا فارسي ،
تدعي بالبطولة
لأنك قبلتني في الخيمة
وعلمتني كل حيلة
لأنني لم أكن ذات يوم بخيلة
لأنني أحبك
حب الذليلة
لأن حياتي
بدونك ، يا فارسي ،
مستحيلة :
كسرت فؤادي
ويتمني
في الطفولة

الطفل والحمامة

طفلاً مصلوباً
وحمامة
تنقر أقدامه
لوحة فنان زيتية
في مقهى
منسية
أغنيه :
العالم يطبع قبلة
فوق جيبني الليلة
العالم يولد
أخضر أو أسود
في عينك يا طفلاً لم يولد
في مقهى
في لوحة
في صيحة
أطلقها فنان جائع
منفرد ضائع
يستجدي
أوراق الورد

في الطرقات
في الحانات
ويبيع الكلمات
تلك هي الأغنية
مأساة العصر ؛
المرثية :
أن تولد مسخاً
أو أعرج
أن لا تنهج أو تلهج
بالحرية
أن تحرق « روما »
أن تعمي
يا طفلاً تأكله الحمى
يا بيضة نسرٍ
تتعفن
في مخزن
بائع أكفان الموتى
يا صوتاً
لم يرتفع الليلة
في وجه الطغيان
من أجل أخي الانسان
وأنا في حزني
والكل يغني

في المعبد
للطوفان الأسود
جرحي يفتح
صوتي يتقيح
بين الجدران
أين أخي الانسان ؟

دمشق - ١٧ - ٣ - ١٩٥٨

١ - النحلة العاشقة

عادت مع الريح الشمالية
مع السنونو
مع أغنية
تصبغ في جناحها الجليد
تحلم ، تستعيد
ذكرى غرام مات في الربيع
مات
وها أزهاره السوداء
في الصقيع
تزهو من جديد

٢ - الموت والزمان

حبيبي . . جميع
رفاقنا ماتوا
ولم يبق سوى الزمان
وحسرة الأغان
حتى صديقي
أحمد الصغير
مات عليه رحمة الله ، صديقي
أحمد الصغير
ماذا تقولين إذا عدنا إلى الوطن
ولم نجد هناك من يعرفنا
ماذا تقولين ؟
أيا عصفورة الشجن

٣ - الجدار

سألن الحب
الذي يُنبت في صحرائنا صُبَّارُ
سألن النهار
إن لم أجد في ضوئه قيثار
إن لم أجد أزهار
آبارنا مسمومةً
فأين يا حبيبي الفرار !
رفاقنا ماتوا
ولم يبق سوى الجدار
يسخر من أمواتنا
من ليلنا
المنهار

٤ - وداعاً استامبول

مررت باستامبول ، لا أقول
نزلتها ،
لأنني عجول
لأنني أحجل من محمد^(١)
من وجهه الصغير
إمّا رأني فارغ اليدين
مسهد العينين
أهيم في شوارع استامبول
في وحشة الأفول
وفي فؤادي . . .
آه يا حبيبي
مررت . . لا أقول

(١) ابن الشاعر الكبير ناظم حكمت .

حلمتُ
أني هارب طريد
في غابةٍ
في وطن بعيد
تتبعني الذئاب
عبر البراري السود والهضاب
حلمتُ
والفراق يا حبيبي عذاب
أني بلا وطن
أموت في مدينة مجهولةٍ
أموت
يا حبيبي
وحدي بلا وطن .

٦ - أمطار

ستغسل الأمطار
نافذتي
سيفتح النهار
لنا طريقاً واحداً
في ليل أوروبا
فنستفيق
من نومنا العميق
سيحمل القطار
لنا هدايا من بلاد الثلج والأزهار
لكنما القطار
مرّ ، وكنت نائماً
حببتي . . القطار

٧ - عيد ميلاد

رأيتهم في ضحكهم
يبكون
أطفال أوروبا ، بلا عيون
وددتُ
لو عدت إلى دمشقَ
فالأطفال لا يدرون
أن غريباً
كان يبكي مثلهم
كان بلا أزهار
يحتفل الليلة
في ميلاده
كان غريب الدار

٨ - عزاء

بديتني بعيدة
لا تلعبى بالنار
أنا إذا اخترت مصيري
آه لا أختار
فلتغسل الأمطار
نافذتي
وليُقبل النهار
فلم أعد أنتظر القطار
عزائي الوحيد
أن أكتب في حبيبتى الأشعار

٩ - الوحدة

كقطرة المطر
كنت وحيداً
آه يا حبيبتى ، كقطرة المطر
لا تحزني
سأشتري غداً لك القمر
ونجمة الضحى
ويستاناً من الزهر
غداً إذا عدت من السفر
غداً إذا أورك في ضلوعي الحجر
لكنني ، اليوم ، وحيداً
آه يا حبيبتى
كقطرة المطر

١٠ - تذكّار من بغداد

يا نخلة في سجن بغداد
أتذكّرين ؟
غناءنا الحزين
قُبرة طارت مع الشمس
وهذا كل ما أذكّره
يا حسرة السجين
قبرة طارت مع الشمس
وفي بغداد
من صداحها أنين
يا نخلة في وطني النائي
أتذكّرين

١١ - سماء بلا نجوم

سماء أوروبا
بلا نجوم
لا تذكرى بالخير أو بالشر
يا صديقتي
مدينتي الرؤوم
فنحن في الشرق على الضياء
نحيا
على الدموع والدماء
مستنقع في وطني
أجملُ
من بحيرة في ليل أوروبا
بلا ضياء

١٢ - حضارة الغرب

حضارةُ تنهار
قلب من الطين
وعينان بلا قرار
يجف في بئريهما النهار
عاهرة خلّفها القطار
في ليل أوروبا بلا دثار
تموت تحت البرد والأمطار
وددتُ
لو صحتُ بها :
أيتها العجوز
يا هتيكة الإزار
قد فاتك القطار

١٣ - أوروبا المعجوز

زنابقٌ سود على الضفاف
تدوسها الخراف
تلك هي الحقيقة المرة
يا مقطوعة الأتداء
تمثالك العريق قد حطمه الخراف
فلتدفعي
رجالك الجوف
إلى الصلاة
فالأموات
قد دفنوا أمواتهم
وانطلقتوا بغاة
يروعون الطير في أعشاشها
ويطلقون النار
عليك يا عاهرة قد فاتها القطار !

مائدتى موحشةٌ ومقعدي جليد
يا دميةً تجهل ما أريد
عودي إلى بيتك
يا صغيرتي
عودي إلى فارسك الجديد
عودي واخلّيني هنا
أضع قلبي
أنزوي وحيد
أنا إذا استيقظ فيك الشوقُ
إنسان من الجليد
عواطفى تركتها هناك
في دمشق
في مدينة الشمس التي في الليل لا تغيب
عودي إلى بيتك
يا صغيرتي
عودي !
وخلّيني على الصليب

١٥ - إلى شتراوس

إليك شتراوسُ
إلى الدانوبِ
إلى الجبال الخضراء
والطيوب
غنيتُ :
حتى انطفأ المصباح
فليل أوروبا بلا صباح
طالَ
وطالت وحشتي فيه
فيا ملاح
بحار فجر الحب ، يا ملاح
خذني إلى مدينتي المشحنة الجراح
هناك حيث الشمس والأقاح

فيينا - ٢٠ - ٦ - ١٩٥٨

وطرقتَ بابي
بعد أن أغفى السكارى
وانتهى فصل سقيم
متوسلاً
سكران ، منسحقاً ، كظيم
كالأرنب المذعور
كالطفل اليتيم .
وقلت ، ماذا ، لست أذكر يا لثيم
غير انتظارك ، دونما جدوى
وراء البابِ
والليل البهيم
وتلوج هذا العالم الأسيان
غطت في عباؤها النجوم
والحارس الليليُّ
أغفى
تحت أكداس الهموم
وقنوط وجهك في صحارى الموتِ
والعطش الأليم
وحذاؤك البالي

يجوب الليل ، يتعل الغيوم

* * *

أعيادنا في الأرض

مرّت

والجحيم هو الجحيم

لن يُبعث الموتى

ولن يستيقظ الداء القديم

فاذهب

ودع للناس ما للناس

يا طفلي اليتيم

بغداد - ٣١ - ٣ - ١٩٥٩

أبو زيد السروجي

كان^(١) يغني

كان شحاذاً بلا حياء

يجتر ما في كتب الأموات

أو يسطو على الأحياء

كان يغني

في المواخير

وفي ولائم الملوك

في شهية ، لأنه كان بلا حياء

* * *

كان يغني

كان في مدينتي يفعل ما يشاء

يغوي الصبيات

ويستجدي

على قارعة الطريق في المساء

صنعتُه تقبيل أيدي الناس والغناء

وشتهم ، لأنه حرباء

(١) أبو زيد السروجي : من أبطال مقامات الحريري ، وهو شخصية نموذجية لكل الناس الذين على شاكلته في كل زمان ومكان .

يعرف من أين وكيف تؤكل الأكتافُ
والأثداء .

* * *

كان بلا صوت يغني
كان في أسماه السوداء
يظهر في كل زمان ، ركباً
بغلته البرصاء
تتبعه الغربان والوباء

* * *

كان يغني
عندما أغار هولاءكو على بغداد
واستسلمت « طرواد »
وعُلفت في قلب « مدريد » وفي أبوابها
الأعواد .

لأنه كان بلا ميعاد
يظهر في كل زمان ، ركباً
بغلته البرصاء
يتبعه الجراد والوباء

الثعبان

وقلت : إن الحب لا يموت
لكنه مات ! ولم يمضِ على مولده يومان
واحسرة الشاعر في خريفه يهان
وتخفق الأشواق في فؤاده
ويقتل الانسان
فالأسد الهصور عندما يشيخُ يضحك الصَّبيان
عليه والغربان
والأحدب الأمير ذو الأظلاف والسلطان
تخطب ودَّ كلبه الحسان
ويرتمي الأقزام في طريقه
مقبليين الثوب والأردان
واحسرة الشاعر في خريفه تهصره الأشجان
وكل شيء حوله يموت
أو يُسرق
أو يلفه النسيان .
واحسرة الشاعر
إن قامر ، أو شفى مع الشيطان
عقباه أن يُسبح في عشية الصليب
وإن تأكله الثعبان

زماننا كان بلا شعير، وكان الأحذب الأمير والأوثان
والصحف الصفراء والأقزام والذؤبان

تعوي وتعوي

كنتُ يا صغيرتي سامان

أصرخ في شوارع المدينة الصماء، يا صغيرتي

أمضع قلبي

ألعن الزمان

لأنه مطية الأذنان والعبدان

* * *

حبك، يا صغيرتي، ثعبان

كان طوال الليل في مدينتي

يفتح

في الأزقة السوداء والحيطان

لكنني قتلته

قتلت حبي التمس المهان

مقبرة الغزاة

يرتجف الحديد
منك
ومن عينيك ، يا بغداد ، يا مقبرة الغزاة
يا صباحنا الجديد
فلتضربي
ولتضربي
جحافل الفاشست والعييد
ولتطلي الربيع ، من ليل عصور الموت والجليد
ربيع كردستان
من صيحات جندي على الحدود
يزرع في حربته الورود
ويجرح الشمس ، يغني صامداً ، وحيد

* * *

الفجرُ ، يا مدينة السلام ، لن يحيد
عن دربه المخضب البعيد
فلتضربي
ولتضربي
جحافل الفاشست والعييد

ولتطلي رجم ليالي الموت والجليد
ربيع كردستان
من قلب بلادي
وردة حمراء
يا صباحنا الجديد

١٩٥٩ - ٣ - ٣٠

أحبها

أحبها ، أحب عينيها
أحب شعرها المعطار
أحب وجهها الصغير كلما استدار
أحب صوتها الحزين الدافئ المنهار
يفتح في الظلمة شباكاً
ويهمي في الضحى أمطار
أحبها
حب الفراشات لحقل الورد والأنوار .
أحبها ، يا فجر أيامي
ويا عرائس البحار
ويا صديقتاتي
وداعاً
قلق الأسفار
وحسرة الخريف في القفار
تهيب بي : تعال لا تخش لهيب النار .

* * *

أحبها
وأنهار في قلبي جدارُ الثلج
وأنساب دم النهار .

عندما لا تمطر السماء

عدتُ مع العصفور والشتاء والمطر
كتبتُ ألفَ بيتٍ شعريٍّ ، لكِ
يا رفيقة السفر
صليتُ للحب الذي ينبت في صحرائنا الزهر
غنيتُ للنار التي توقدُ في الغابات
في السحر .
حلقت بالقمر
أن نلتقي يوماً
وأن نرقص في أعياد شعبي
قاهر القدر
لكنتي
ما زلت ، يا رفيقة السفر
أحلم وحدي
دون أن ينفجر السحابُ
أو ينهمر المطر .

الى امرأة لا اسم لها

العندليب يطير عبر الثلج والظلمات والألم الدفين

العندليب يطير ، لكني سجين

بين الكؤوس وبين ضحكات السكارى الراقصين

عينك في عيني

ولكني أذوب من الحنين

لعوالم ، لم تعرفيها ، أنتِ ، يا نتناً وطين

لعوالم ، لم تسمعي عنها ، لأنك ، يا غيبيةً ، قطةً

في مطبخ الليل الرهين

لم تعرفي إلا وجوه الداعرين

لم تعرفي إلا ابتزاز نقودهم

إلا بأنك سلعة للطالبيين

لا تكذبي فعيونك البلهاء

تخبرني

بأنك تكذبين

لا تكذبي فعيونك البلهاء

تبحث في عيون الراقصين

عن لعبة أخرى ، وعن ثور بدين

مالي ، خذي كيس النقود

وغادريني

أيها البوم اللعين
قلبي ! سأسحقه
وأمضي جامد العينين، مرفوع الجبين .

موسكو - ١ - ١ - ١٩٦٠

هيات

أبحرت السفن
ما كان لم يكن

* * *

يا أنتِ ، يا طريدة الأبواب
عيناك من تراب
قلبك من خشب .
لن يُطفأ اللهب
ولن يبيع دمه ، المسيحُ ، بالذهب
قصائدي أعلى من القمر
لأنني أودعت فيها لوعة البشر
وحسرة الحجر .
قصائدي أئمن من عيني
فلا تسترقي النظر
لن أشتري ولن أباغ
فأنا المطر
أحمل قلبي مثل طفلٍ جائعٍ عريان
في حقبة السفر .
تلوج هذا العالم الأسيان

لن تمنعني من رؤية السحر
سأبحر الليلة ، يا قصائدي
من أجل عينيك
إلى الأبد
وأحرق الجسد
وأطأ اللهب
وأركل الأصنام والذهب

* * *

أبحرت السفن
ما كان لم يكن

موسم - ٢٥ - ١٢ - ١٩٥٩

إلى فلاديمير ماياكوفسكي

مايا . . كوفسكي
في وجه النقاد اللئيماء
يرفع جبهته المعصوبة
وقصيدة
بالدم مكتوبة
وعصاهُ الثلجية
تقرع روسية
أرضَ الحرية

* * *

الحقد يلمع في عيون ذوي اللحى الصُفر الطوال
القاتلي « بوشكين » الجبناء
أشباه الرجال
سرقوا ابتسامته
وسموا خبزه بالبغض
لكنَّ الليال
دارت على أقدامهم
دارت ، وكسرت النصال
وخبث عيون ذوي اللحى الصفر الطوال
لكن وجهك ، يا رفيقي

لا يزال
في ليل موسكو
ساخراً منهم
ومن عبث الظلال

* * *

مايا . . كوفسكي
يرفع جبهته المعصوبة
في وجه النقاد اللؤماء .

موسكو - ١٧ - ١ - ١٩٦٠

لو أستطيع
لأكلت عيني
لامتشقت البرق في وجه الصقيع .
لوقفت في ساحاتك البيضاء ، متحجباً
وقبّلت الجميع .
لحلمت في « المترو » بأن يد الربيع
مرت على عيني
وكفكفت الدموع .
لصنعت من حبي إليك مظلة خضراء
من ضوء الشموع
لحطمت ساعات الفنادق
وانتظرتك في الجليد
وصرخت أنني لست ، يا موسكو ، وحيد
ما دام قلبك يحتويني
يحتوي حب الجميع .
ما دمت أشعر بالربيع
يختال في ساحاتك البيضاء
كالطفل الرضيع .

سیدوب ، یا موسکو ،

الجلید

سیدوب ، یا موسکو

الجلید .

موسکو - ۱ - ۱ - ۱۹۶۰

أغنية المحكوم بالحب

كان يدمدم
إفتح يا سمس !
إفتح لي قلبك
وامنحني حبك
فأنا جائع
وأنا ضائع
في برد الطرقات
في ليل الأموات
صدري بركان خامد
ولساني حجر هامد
فافتح لي قلبك
وامنحني حبك
يا شمس الفقراء .

* * *

عصفور من نار
أيقظني
طار
عبر الأسوار

ثلاث رباعيات

- ١ -

رأيت في المنام
محبوتي ، عارية ، ترقص في كأس من المدام
أردت أن أشربه ، لكنني غرقت في الكأس وفي الظلام
لأنني كنت مغني صاحب الجلالة السلطان

- ٢ -

أردت أن أعانق الأطفال في الطريق
أردت أن أشعل في قصائدي الحريق
لكنني غرقت في صمتي ، وفي بئر حياتي الأسود العميق
لأنني كنت مغني صاحب الجلالة السلطان

- ٣ -

وضعتُ قلبي في إناء ، ووضعتُ السيف في إناء
محبوتي امتلكتها ، تقطر من شفاهها الصهباء
صدحت بالغناء
لأنني قتلت ذا الجلالة السلطان .

السيف والقيثار

وغشني الأمير
باللعب ، يا صغيرتي ، وقلب الأوراق
وضحك الرفاق
لأنني رهنت قيثاري وسيفي
وخسرتُ اللعب والأمير .
وكيف ، يا صغيرتي ، أطيّر
والنار في أجنحتي
والثلج في الآفاق
وضحك الرفاق
وقلبوا شفاههم ، وشيعوا الأمير
بنظرة احتقار
لأنه يغش باللعب
لأن السيف ؛ والقيثار
ظل يغني للجماهير
وظل السيف في انتظار .

* * *

كان رفاقي يشعلون النار
ينتظرون الثلج أن يذوب

أن تنهار
دعائم الكذب .
وكنت أشحذ القيثار

موسكو - ١٨ - ٣ - ١٩٦٠

النار والكلمات

اعتذار عن خطبة قصيرة

سيداتي ، سادتي
خطبتي كانت قصيرة
فأنا أكره أن يستغرق اللفظ زماني
ولساني
ليس سيفاً من خشب
كلماتي ، سيداتي ، من ذهب
كلماتي ، سادتي ، كانت عناقيد الغضب
وأنا لستُ بسكران ، ولكنني مُتعب
الشموع انطفأت
والليالي بردت
وأنا أحمل قلبي في حقيبة
مثل طفل ميت ، أغرق بالدمع صليبه
عبر آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة
خطبتي كانت قصيرة
وأنا لستُ بسكران ، ولكنني أسخر
من عذابي
وأنا لستُ بقيصر
إن روما تحترق
إن روحي تخنق

بين آلف الخيانات وآلف الأكاذيب الحقيرة
فوداعاً
سيداتي سادتي

ستوكهولم - ٨ - ٦ - ١٩٦٠

الحرف العائد

- ١ -

... وتعثرتُ بآلاف القوافي والحروف
وتبارزت بآلاف السيوف
فإذا بالشاعر العائد ما زال يطوف
مركبي ضلَّ
ومهما ضلَّ ، فالدنيا ظروف
كلُّ ما أكتبه
يا سندبادي
كل ما أكتبه محضُ حروف
فأنا أعتصر الحرف وورقائي مع الصبح هتوف
آه لا توقظ جراحاتي
ولا تملأ رقادي بالطيوف
بيت موتاي مليءٌ بالضيوف
وبآلاف القوافي والحروف
وأنا يا سندبادي
متعبٌ قلبي عزوف ...
آه لا توقظ جراحاتي
ودعني حول أمواتي أطوف

- ٢ -

أيها الحرفُ
الذي علّمني حبَّ الحياه
أيها الحرف الإله
آه لا تُطفئ مصابيحك ، آه
كل ما أكتبه محض صلاه
لك ، للعالم ، ما أكتبه
محضُ صلاه
وسلاح في يدي ضد السلاطين وأحفاد الغزاه

- ٣ -

أيها الحرفُ
الذي علّمني جوبَ البحار
سندبادي مات مقتولاً على مركب نار
وطني المنفي
ومنفاي الى الأحباب دار
وجهُ أمي ، أبداً ، ألمحهُ عبر الجدار
وجه أمي والصغار
والمصابيح التي تهزم في شارعنا ضوء النهار
أيها الحرف المدمي
أيها المنفيُّ
يا محض شعار
إنني أحمل بغداد معي في القلب من دارٍ لدار
أبداً لن يستر الثوبُ السُّعار

عُرِّيَ أهلي
آه من عُرِّي القفار
آه لو عُدت الى بيتي
لمزقت مكاتيبي وأوراق الغبار
ولعلمتُ الصغار
كيف أبحرنا على مركب نار

- ٤ -

نخلاتُ الأهل في أفق السهاد
ضوأت واحترقت
فهي رماد
أينَ مَنْ يأخذُ ثأر السندباد
أيها السيف الذي للغمد عاد
دمنا كان المداد
يا تلال كُتب الأشعار يغزوها الجراد
دمنا كان المداد
أينَ مَنْ يأخذُ ثأر السندباد

- ٥ -

أيها الريح الذي يحمل مركب
سندبادي
أيها الحرف المَعْدِب
أينما تذهب أذهب

- ٦ -

إن كيسي بالنجوم
بالأزاهير مليء بالكروم
معك الليلة خُذني
أيها الحرف الرؤوم
عبر غابات الليالي
وبساتين الهموم

- ٧ -

لتهبّ العاصفة !
لتهبّ العاصفة !

موسكو - ١٥ - ١٢ - ١٩٦٠

- ١ -

في اسبانيا

الموت في مدريد
والدم في الوريد
والأقحوان تحت أقدامك والجليد
أعيادُ اسبانيا بلا مواكبٍ
أحزان اسبانيا بلا حدود
لمن تُدق هذه الأجراس
لوركا صامتٌ
والدم في آنية الورود
وليل غرناطة تحت قبّعات الحرس الأسود والحديد
يموتُ ، والأطفال في المهود
يبكونُ
لوركا صامتٌ
وأنت في مدريد
سلاحك الألم
والكلمات والبراكين التي تقذف بالحمم
لمن تدق هذه الأجراس ؟
أنت صامتٌ ، والدم

يخضّب السرير والغابات والقمم

- ٢ -

حافة الموت

النار في الدخان
والخمرة في الجرّة والوردة في البستان
والكلمات والعصافير وداء الحب والزمان
صمّتُ البحار أقلق الربان
وكان يا ما كان
كان صراعاً دائماً بين قوى الظلام والانسان
الساعة الثامنة ، الليلة
في حديقة النسيان
سنلتقي !
وغاب في شوارع المدينة المجهولة المكان
وانتجبت صبيّة
وأطبقت عينان
ضيّعته
وجدته في كُتب الرحالة الأسباب
كان يغنيّ تحت رايات شعوب الأرض
تحت راية الانسان

- ٣ -

النهاية

الموت حتف الأنف

لوركا ، قالي لي
وقال لي القمر
ضيعتني
ضيعك الوتر
موتك الضجر
رحلت والربيع في طريقنا
وارتحل العجر
وأحرقت خيامهم
واحترق الزهر
أغنيةً ينزفُ منها الدمُ
كانت

قال لي نبوءة القدر
سألت عنك الشيخ محيي الدين
قال في فمي حجر
رسالة العشق ومعبودك تحت قدمي القمر
مذابح العالم في قلبك والأطلال والذكر
قال صديقي الشيخ محيي الدين
لا تسأل عن الخبر
فالناس يمضون ولا يأتون
والسر على شفاهنا انتحر

الغراب

ما لي أراك تُقلِّبُ الصفحات
ملتهب الجبين
عينك غارقتان في صحراء آبار الحروف
وفي عيون الميتين
حبرُ الوصايا العشر جفَّ
محا اليقين
حرفُ غرابٍ ، ظل ينعب في الجرائدِ
في بيوت الضائعين
ويقضُّ في ليل المدينة مضجع الصمت الحزين
هُمُّ يا صديقي
أطعموه لحومهم متطوعين
صبغوا به الجدرانَ
ناموا حوله مثلَّجين
طافوا به الدنيا على أقدامهم متسولين
بنعيه الدامي بنوا أبراج بابل
واستباحوا الكادحين
سرقوا الملوك المفلسين
مسخوا شعارات الرجال الطيبين
وقفوا على بوابة الليل الطويل مهومين

نطحوا الحوائط
سودوا الصفحات
عادوا خائبين
خاروا مع الثيران في الأرض الخراب مكبلين
نهبوا ربيع الآخرين .
جمعوا الطوايع والكلاب
وزيفوا صيحات فجر المتعبين
وطبّلوا للتافهين
أنا لا أخاف الموت
لكني أخاف الموت بالمجان
باسم غرابهم هذا اللعين

موسكو - ٢٠ - ٩ - ١٩٦٢

أوراق وردٍ طيّرتها الريح
الأسد الميت خير من غرابٍ ناعبٍ يصيح
باع دم المسيح
ليشتري به حماراً ملكاً كسيح
مشيت شهراً دون أن تعبر نهراً أيها الصديق
أنت بعيني ميت غريق .
كان يحاكي الرعد والحريق
لأنه يعرف من أين وكيف يبدأ الطريق
في وجهه براءةُ الأطفال
لكنه كان أميراً مفلساً محتال .
الريح في التلال
تعدو وراء الليل والظلال
الفارس الحزين
كان يغني تحت شباك أميرٍ مفلسٍ بطين .
مررت بالسنين
وأنت لم تكبر ، أيا لعين
عباءة الجليد
تذوب تحت الشمس ، أنت صامت وحيد

لأن حبي مات منذ زمن بعيد
وها أنا أضحك في عبي وأمضي تاركاً عباءة الجليد

موسكو - ١٦ - ١ - ١٩٦٢

العرب اللاجئون

- ١ -

يا من رأى أحفاد عدنانٍ على خشب الصليب
مسمّرين

النمل يأكل لحمهم

وطيور جارحة السنين

يا من رآهم يشحدون

يا من رآهم يذرعون

ليل المنافي في محطات القطار بلا عيون

يكون تحت القبعات

ويذبلون

ويهرمون

يا من رأى « يافا » بإعلانٍ صغيرٍ في بلاد الآخرين

يافا على صندوق ليمون معفرة الجبين

- ٢ -

يا من يدق الباب

نحن اللاجئين

متنا

وما « يافا » سوى إعلان ليمونٍ

فلا تقلق عظام الميتين

- ٣ -

« الآخرون هُمُ الجحيم »

« الآخرون هُمُ الجحيم »

- ٤ -

باعوا صلاح الدين

باعوا درعه وحصانه

باعوا قبور اللاجئيين

- ٥ -

من يشتري ؟ - الله يرحمكم

ويرحم أجمعين

آباءكم ، يا محسنون -

اللاجيء العربي والانسان والحرف المبين

برغيف خبز

إن أعراقي تجف وتضحكون

السندباد أنا

كنوزي في قلوب صغاركم

السندباد بزي شحاذ حزين

اللاجيء العربي شحاذ على أبوابكم

عار طعين

النمل يأكل لحمه

وطيور جارحة السنين

من يشتري ؟ يا محسنون !

- ٦ -

« الآخرون هم الجحيم »

« الآخرون هم الجحيم »

- ٧ -

العار للجبناء

للمتفرجين

العار للخطباء من شرفاتهم

للزاعمين

للخادعين شعوبهم

للباطنين

فكلوا ، فهذا آخر الأعياد ، لحمي

واشربوا يا خائنون

برلين الغربية - ٣ - ٨ - ١٩٦١

أنا وأنتِ أبداً

« الى هند »

من أجل عينيكِ الجميلتين
صليتُ مرتين
أوقدت شمعتين
بكيّتُ ، يا حبيبتِي ، فالبين
يمد لي يدين
عبر دموع الأرض ، لي يدين
أخاف أن تستيقظي
وتقرئي
دامعة العينين
قصيدتي
فلتذكرِي بيتين :
أنا وأنتِ أبداً
نظّلُ عاشقين

موسكو - ٢٥ - ١ - ١٩٦١

- ١ -

صبوا الماء على الماء
رقصوا فوق حبال الكلمات الصفراء
صنعوا شعراء
نصبوا خلفاء
ومطايا وطواحين هواء
فإذا الكل هباء
قبضُ الريحِ
غشاء
الشعر نقاط سوداء
الحب بكاء
التاريخ فتوح نساء
فالكلمات الكاذبة الجوفاء
لن تصنع عنقاء
من جمل الصحراء

- ٢ -

القطط العمياء

تلد القبط العمياء

- ٣ -

مَنْ أَسَكَّتْ صِيحَاتِ الشَّعْرَاءِ ؟

من يبكي !

مَنْ مَاتَ ؟

قبض الريح

فانثر أزهارك في الريح

واصمد في وجه الريح

واصفع تجار الكلمات

العور الأقزام

سقط متاع الأيام

- ٤ -

أرض الصلوات الخرساء

ولدت فأراً

ولدت حرباء

وسبايا وفقايع هواء

- ٥ -

حبي : مائدة الفقراء

حزني : بستان التعساء

فليشرب ماء البحر الأعداء

لماذا نحن في المنفى ؟

« اللاجئون يسألون »

لماذا نحن في صمتِ
نموتُ

وكان لي بيتي

وكانت لي

وها أنتِ

بلا قلبٍ ، بلا صوت

تنوحين ، وها أنتِ

لماذا نحن في المنفى

نموتُ

نموت في صمتِ

لماذا نحن لا نبكي

على النارِ ،

على الشوكِ

مشينا

ومشى شعبي

لماذا نحن يا ربي

بلا وطنٍ ، بلا حبِّ

نموتُ
نموتُ في رعبٍ
لماذا نحن في المنفى
لماذا نحن يا ربي ؟

موسكو - ٢٠ - ٥ - ١٩٦٠

لا تسدلوا الستار
هذا أنا هاملت ، لا تقاطعوا الحوار
بلا قناع ، أهتك الأسرار
لا تضحكوا ، فإنني أموت ، يا أشرار
أديتُ دوراً ، كان . . . لا تقاطعوا
من أفجع الأدوار
فالمسرح العالم التيّار
يجرفني
وإنني أنهار
لا تضحكوا
وأوقفوا التيار
لا تقلبوا شفاهكم
لا تطفئوا الأنوار
فإنني أموت ، والدوار
يلقني والنار
تلتهم الستار
لا تضحكوا
لا تلمسوني ، أيها الأشرار
دمي ، أنا هاملت

- لا تقاطعوا -

يلطّخ الجدار

وخنجري يغوص في القلب الى القرار

* * *

هذا أنا هاملت ، محمولاً مع التيار

بلا قناع

أعبرُ الأنهار

عبر حدود المسرح الصغير والستار

موسكو - ١٥ - ٨ - ١٩٦٠

- ١ -

النار في الرماد
والموت في بغداد
ونشوة اللون وحزن الصمت والأبعاد
والقلق اللاهث والحمى التي تقصف في ربيعها
الأوراد
تشعل في الخطوط والألوان والسواد
حرائق الليل التي لا تنطفي
حرائق الأعياد
كانت ربيعاً أسوداً
طفولة ضائعة الميلاد
لم تُطق الرقاد
توهجت عبر جدار المستحيل
وغد الحصاد
مَنْ أطفأ الشموعَ
مَنْ مَزَقَ في سكينه الفؤاد
مَنْ خبأ البذور في الصقيعِ
والدموعَ في قبعة الحداد
الشاهد القابع في الظل

تدلى رأسه
وماد

- ٢ -

النهرُ
نهر الموت ضلّ دربه
وابتلعته ظلمة الغابات
الشمسُ
شمس الليل عبر حائط الأموات
تشرق في الواحاتِ
واللوحاتِ
يا نخلة صامدةً في غمرة المأساة
والملحِ والعُقم الذي يصنع في صحرائنا العاهات
يا ساحل الآهات
الشاهد القابع في الظل
تدلى رأسه
ومات

- ٣ -

الموتُ في الميلادِ
والخريف في الربيع
والماء في السرابِ
والبذور في الصقيع

- ٤ -

الكلمات نزت دماً على الكتاب

توهجت وانطفأت

وغاب

حضورها - الكلمات مطهر العذاب -

تكذبت

وأنت في الضباب

تفتح للشمس طريقاً

تفتح الأبواب

يا إخوتي ادخلوا ، قميصُ الليل ، مبتلٌ ويا أحباب

حرائق الشباب في زماننا البخيل هذا

تصنع العجائب

موسكو - ١٩٦٢

النار والكلمات

عندما استيقظ حبي
كان ثلج العالم الأسود ، ربّي
يغمر الغابة
يطفو فوق هديبي
كان قلبي
موحشاً مكتئباً
جائعاً منتعجاً
مثل طفلٍ ، مثل عصفور يغني
في صحارى عطشي
في ليل حزني
كنت لا أملك الا النار والعشب
وكنْتُ
كلما شبّ لظاها
شبّ . . . صحتُ :
أيها النار أضيئي كلماتي
واصنعي منها وجوداً لحياتي
فهي خبزي وسلاحي
وجناحي
وأنا من دونها أعمى . . .
وصحت . . .

وتمزقت ، وكان الثلج ربي
يغمر الغابة
يطفو فوق هديبي
عندما استيقظ حبي

هوسكو - ٣ - ٦ - ١٩٦٠

كلماتك الخضراء في ليل انتظاري
نفذت بلحمي مثل نار
ثأرت الى صمت البحار
عبرت صحاري
حلّت بداري
ضيفاً
وباتت في قراري .

كلماتك الخضراء بعثرت الدراري
في ليل باريس الطويل
وباركت نوم الصغار
صبغت قصائد حينا بدم الكنار
« لا ! لن تمرؤا أيها الفاشست ! »
في باريس تعلقو كل دار
مكتوبة بدم ونار
وحمامة مصلوبة فوق الجدار
كلماتك الخضراء باتت - رغم أحزان النهار -
خمرأً وخبزاً في قراري
وغداً أطوف به على فقراء مكة في القفار

الموت في المنفى

- ١ -

بدم القلب ، بطاقات الرماد
كُتِبَتْ

أين كنوز السندباد
منك ، يا زاد المعاد
آه لو أحرقت أشعاري
وأغرقت الليالي بالمداد
لكتبتُ مرة أخرى
بطاقات الرماد

بدم القلب
وأطعمت القوافي للجراد

- ٢ -

صبغت ليلي الجراح
وطني ناءً ، وكفي يبست فوق السلاح
أين مَنْ يُسكت في الأفق النباح
أين مَنْ يبصق في وجه المخانيث
ومن يزرع في الملح أقاح
أين مَنْ يُشعل في صدري قناديل الصباح
وطني ناءً ، فيا ليت بطاقتي جناح
لتطير الليلة ، الليلة في أفق الجراح

- ٣ -

البحيراتُ وضوء الليلي والجبال
والمخانيث وأشباه الرجال
قطعوا الدرب علينا
أغلقوا باب المحال
أيها الفارسُ
يا متعل البرق ، تعال !
إن لي بيتاً على خضر التلال
خلعت أبوابه الريحُ وأبقته على الدهر سؤال
أيها الفارسُ!
من أعماق ليل الموت والصمت ، تعال !
فأنا ألهب الليلة كالشمعة في صمت الظلال

- ٤ -

دقت الساعاتُ في قلب الضباب
نبحت عبر الميدان الكلاب
وأنا أدفن رأسي في كتاب
أبدأً أسمعك الليلة عبر ألف باب
أبدأً تنعب في الأرض الخراب
أبدأً تأكل من لحمي
وتستلقي على صدري اضطراب
أيها المستنقع الآسن ، يا صوت الغراب
قدمي غاصت بأوحالك

يا صوت الغراب
أين أمضي ، وطني ناءً وكفاك على رأسي تراب
أين أمضي ، فارسي مات على أبواب بغداد سراب
يا غراب البين ، لا تنعب
فأيامي رحيلٌ واغتراب
- ٥ -

صوتُ أطفالي نصالُ
نفذتُ في القلب ، قالت لي تعالُ !
وأنا أحتنق الليلة في ذلّ السؤال
أين مَنْ يُسكت صيحات « تعال »
ملأت صدري أنيناً وسعال
ورقادي بالظلال
- ٦ -

القناديل بصدري انطفأت ، أين الضياء ؟
افتحوا الأبواب للنور ، افتحوها !
أصدقائي الفقراء
أصدقائي الشعراء !
فأنا أحترق الليلة كالشمعة في صمت البكاء
- ٧ -

احمليني يا رياح !
عبر الآم الليالي
احمليني يا رياح !

- ١ -

سبعة أقمار على التلال
حافية - أسلحة ، أقوال
ضمائر ، أقفال
للبيع - أنت متعب ، تعال !
نهيم في حدائق الليال
نطارذ الظلال
نرغب فجر العالم الجديد في الجبال
نُمسك في شباكنا فراشة المحال
نشرب شايَ العصر في وهران ، فالأغلال
أدمتك يا سيزيف
يا فارس عصر أدرك الزلزال
تعال ، أنت متعب ، تعال !
نغلق عين الأسد الجوّال
تعال ! فالأطفال
ناموا ونام الفارس المُتعب في الأسمال

- ٢ -

خناجر الغجر
تلمع في الكهوف في مخابىء الشجر

تغرز في أضالع القمر
وأنت مشدود إلى حجر
تغمرك الأعشاب والأملاح والمطر
وحولك الصليبان غرقى
آه لا تسترق النظر
فألف باب أغلقت وألف سرّ دوننا انتحر
تعال نُطلق صيحة الظفر
ونوقد النيران في الجبال
في منازل البشر
ونرقب البريد وهو يحمل الزهر
والخبز والأشعار والمسائل الأخر
فأنت لي الشباك والعيون والنظر
وأنت لي بطاقة السفر

- ٣ -

النهر للمنع لا يعود
النهر في غربته يكتسح السدود

موسكو- ٨- ١- ١٩٦١

المغني والقمر

- ١ -

رأيته يلعب بالقلوب والياقوت

- ٢ -

رأيته يموت

- ٣ -

قميصه ملطخ بالتوت

وخنجر في قلبه

وخيطة عنكبوت

يلتف حول نايه المحطم الصموت

وقمر أخضر في عيونه

يغيب عبر شرفات الليل والبيوت

وهو على قارعة الطريق في سكينه يموت

موسكو - ٢٦ - ١ - ١٩٦١

تمت اللعبة

- ١ -

كتبت باسم البسطاء أحرف القصيد
عمدتها بالدم
عمدتُ بها صباحنا الوليد
وها أنا وحيد
أمد قوسَ قرحٍ لوطني البعيد
أرفع راية الشهيد
أحمل من منفىً إلى منفى عصاي
حبي الشريد
فليهنأ الأمير ، فالشموس والجليد
قبعتي
تاجي الذي اشتتهته ، ملاذي الوحيد
وليهنأ الرفاق ، فالحديد
والسلُّ والحصار لن يفلأ من عزيمة الفارس
لن يجعلنا عبيد

- ٢ -

أنا لإنسان بلادي أملٌ جديد
أورق في الجليد
قبعتي الشمس وتاجي الثلج والحديد
كتبت باسم الشهداء أحرف النشيد

- ٣ -

قصائدي : بساطة العصفور وانتفاضة العبيد
وقصفة الرعود
وحسرة الربيع في جنائز الورود
وصرخة الانسان في دوامة الوجود

- ٤ -

حجبت ضوء الشمس بالغربال
أومأت للنجوم أن تنهال
على جبيني
وفرشت الأرض بالظلال
وزنتني بذهب العالم ، قلت ، أنت لي ، تعال
منحتني كوخاً على مشارف الجبال
سقيتني الخمر ، وقلت كل ما يقال
هددت أوجاعي
وأيقظت حنيني لنداء البحر والترحال
وها أنا اليوم وحيد أذرع الليال
قبعتي الشمس وتاجي الثلج والأقوال

- ٥ -

قصائدي شمس بلادي وغد الأطفال
ورعشة الزلزال
لن تُشترى بذهب العالم ،
لن تُباع ، لن تُنال

وعشني الأمير ، يا صغيرتي
وقلب الأوراق
وسلّط الكلاب في صمت الليالي
تنهش الرفاق
وقمر الخيانة الأسود في المحاق

- ٧ -

كُتبت باسم الصامدين هذه الأشعار
صنعتُ منها لهمو أقمار
غمدتها بالنار
أغمدتها في قلب ليل العالم المنهار
وها أنا اليوم وحيد أذرع القنار
قبعتي الشمس وتاجي الشوك والصُّبَّار

- ٨ -

قصائدي تجوب في أعتاب
بغداد ، عني تسأل الأحباب
يا سامعين الصوت ، يا منتحلي الأسباب
لا تتركوا حروفها في الباب
واقفة يشتمها البواب
وينزع الإكليل عن جبينها
ويترك الكلاب

تحوم حول دمها المنساب

- ٩ -

ليطمئن بأله - الأمير - فاللعبة تَمَّتْ
تَمَّتِ الفصول والأدوار

- ١٠ -

لِيُغْرَقَ العراق

بالدم

إن حبنا استفاق

ليغرق العراق

ليغرق العراق

١٩٦٠

الفجر يذيب المسوخ

إلى ذكرى بول ايلوار

قبضة الملح التي تُلقى على الميّت في ليل الخناجر
صيحة الطير المهاجر
زنبق الحقل الذي يذبل في ديوان شاعر
ريشة البلبل
أنات القيّاتر
قلب بغداد ، ملايين الحناجر
صرخت بالموت كلا !
هزمت ليل المقابر
عرّت الأشباه والخصيان من تيجانهم
داست على أنف المكابر
نزعت أنياب نمر الورق المحشو بالقش
وأثواب المخانيث العواهر
فإذا الكل على مزبلة التاريخ أصفار وأشباه قياصر
يعلكون الخطب الجوفاء في عيد المساخر
يا جواد الصبح ، يا لوعة حرفٍ في المحابر
ظل محبوساً ،
وظل القلم الحر يحاصر

وجهَ هولاءِ
بأعيادِ المسافرِ
أعدِ الليلةَ للأهلِ المسافرِ!
أعدِ الصيحةَ للظيرِ المهاجرِ!
أعدِ الريشةَ للبلبلِ ،
والزنبقَ في ديوانِ شاعرِ!
أيقظِ الميِّتَ في ليلِ الخناجرِ

١٩٦٢

أغنية اللون الجريح تعبر النهر
تنثّ من أهدابها رائحة المطر
تغمز للقمر
ترقص حول نفسها
تضاجع الزهر
تُريح نهدبها على الوتر
تصنغ جدران مقاهي الفجر
تستولي على كآبة الحجر
تشحذ في مدريد
في بيوتها
خناجر العجر
تمزج في خصلتها السماء والعالم والقدر
وتحرم البشر
من نومهم
من أن يموتوا في سرايب من الضجر
طعامك النار وصمت البحر والسحر
غمرتني بالأزرق الدافئ
فاستحالت الفرشاة في كفي إلى وتر

الثلج في قصائدي يذوبُ

في حقائب السفر

بوابة العالم في حذر

تفتحها عيون طفل مهمل الشعر

طوّف في الليل كثيراً

أدرك الفجر الذي انتصر

١٩٦١ - ٨ - ٣

الفارس فوق المدخنة

الشمس والفارس فوق المدخنة
ينازل اللصوص والمشوهين
بالحروف المؤمنه
يذرع صيف الأزمنه
يثأر للحقيقة الممتنه
يحمل في ضلوعه صليبه ووطنه
يموت فوق المدخنة
وحائط الرصاص والنوافذ المُسننه
يُمدُّ ألفُ خنجرٍ منها
وألف لفظه مُبطنه
لتطعنه
لتطعنه
وهو يموت حاملاً صليبه ووطنه
الفارس الميت ألقى كفه
وعاد فوق المدخنة
ينازل اللصوص والمشوهين بالحروف المؤمنه

— مقاطع من السمفونية الخامسة لبروكوفيف —

- ١ -

قطارنا الأخير في الغسق
أعول واحترق
قطارنا أعول واحترق

- ٢ -

تركنتي يسوع في منتصف الطريق
أجف كالنواة
كالكتاب فوق الرف
كالغريق
أنزف في مجاعة الحريق
دماً
أموت
كلماتي احترقت
يسوع! في منتصف الطريق
حدائق الثلج بقلبي أظلمت
وانطفأ البريق

- ٣ -

بحثتُ عنك طول ليل الليل

وانتظرتُ
أن تمر في الطريق
تمد لي عبر المتاريس يدي صديق

- ٤ -

مديتي دمرها الزلزالُ
أفنى أهلها الطاعون
أصابها الجنون
عاثت بها الفئرانُ
غاص الماء في العيون

- ٥ -

تركتني يسوع
أحمل في مديتي الأموات
من بيتٍ إلى بيتٍ
صليبي
ودمي ينزف في قبعتي
يسوع !

- ٦ -

الذئب في الأفول
يعوي
وغابات الليالي احترقت
ومات في المجهول

سرٌ صغير متعب مغلول

- ٧ -

تركنتي منفرداً وحيد
أنزف في محارق الجليد
دماً
أموت
أرقب البريد

- ٨ -

قطارنا الأخير في الغسق
أعول واحترق

١٩٦١ - ٥ - ١٩

إلى عبد الله كوران

الثلج في جبال كردستان
يذوب
والربيع في الوديان
والكلمات ملح خبز الحب والأغان
يمد منها ألف جسرٍ عبر ليل الموت والفقدان
يزهر في حرورِها بستان
يذيب في لهيها المسوخ فجر الكادح الفنان
يولد شعبٌ ، يولد الانسان
فلتصعدي القمة يا عروسة الشعر ويا قوافي الأحران
ولتعبري البحار والأزمان
ولتدركي الفجر الذي يطلع في جبال كردستان
هناك في القمة حيث الثلج والنيران
هناك عرّى صدره للشمس والعقبان
شاعرُنَا كوران
من أجل أن يولد شعب يولد الانسان

الكلمات تصنع السماء والأشجار
والحزن والأشعار والأمطار
الكلمات النار
لكنما الأحجار
تبقى على الرصيف
تبقى أبداً أحجار
يلعب فيها الشاعر الأعمى
ويبنى حوله جدار
رأيتها ، رأيته
مهرجاً في السوق محمولاً على الأكتاف في غاشية النهار
تبعه ، يبعها
مَنْ يشتري الأحجار؟
غير الملوك المفلسين وذوي العاهات والأصفار
رأيتهم يصفقون : إنه معجزة الزمان
كيف ولَدَ الجدار؟
فأراً كهذا الفار
يقرض ، ماذا؟
أيها الشعر تمهّل ! وانتحبّ يا عار !
يقرض لحم الميتين
يقرض الأشعار

- ١ -

مصباح علاء الدين

صغيرتي . . نادية

رأيت في سماء عينيك

رأيت الله والانسان

وجدت مصباح علاء الدين

والجزائر المرجان

قلتُ لشعري كُن !

فلبى عبده

وكان

طفولتي رأيتها تبخر في عينيك

في شراع هذا الأبد السكران

أبحرت ، فالرياح لا تنتظر الربان

أبحرت فالوداع يا سماء عينيها

ويا طفولة الانسان

غداً بمصباح علاء الدين من جزائر المرجان

أعود يا صغيرتي ، اليك ، بالأزهار

من نهاية البستان

الأب الشاعر

في مدن العالم
في بيوتها
في العلب السريدين
في وحشة الغروب
في الخريف
في زماننا الحزين
في الساعة الخامسة العشرين
رأيته يدوس فوق ظله
يدقُّ في ضلوعه اسفين
يمنح للجياع والباكين
ربيعه الأسود
فيض حبه الدفين
يسكت جوع نسرهِ
بمضغٍ من قلبهِ
ويكتم الأنين
يموت والإصرار في عيونه
في الساعة الخامسة العشرين

الصحف الصفراء

الصحف الصفراء في زماننا
توزع الألقاب
تلثم أيدي القاتلين
تمسح الأعتاب
تمنح أشباه الرجال العوز والأذنان
صكوك غفران بلا حساب
تطلق غربان الحروف السود
تحثو أوجه القراء بالتراب
يطن في سطورها البليدة الذباب
تنبح في أنهارها الكلاب
أبطالها مزيفو النقود والتاريخ و الأفكار
ولاعبو الجبال والمهرجون كاتمو الأسرار
وجوقة الأوغاد والأشرار
رأيتهم في كل أرض جبلت بالرعد والأمطار
تحت نعال الكادحين ويد الثوار
منكسي الرايات
في عيونهم مذلة وعار
ينتظرون
أن ماء البحر لن يغسل هذا العار

قصيدتان إلى صلاح جاهين

- ١ -

الصفيف الأخير

ألف رؤيا عبرتُ
في جوع صحرائك خبز الآخرين
ذهب الموتى وعاد الميِّتون
لا تُجرِّحُ وجنة الحرف الحزين
إنها الشمس، وها أنت مع الشمس وحيدٌ
في سهوب الآخرين
لوعةُ الأمسِ
وأشعاركُ
أنهار الصِّبابات ، بكاء العائدين
نُهبتُ
حتى صباح الياسمينِ
ديس بالأقدام
داستهُ خيول الفاتحين
قطرةُ الماءِ
سواقي الليلِ
نهر الهائمين
جَفَّ

فالصَّحراءُ قَبْرٌ ، لا تُجْرَحُ وجنة الحرف الحزين
إنه الصَّبَّارُ والصَّخْرُ وصمت الآخريين
إنه الباب الذي يحرسه التَّنِينُ في صيف السنين
عطشي نهر الحنين
وينابيع اليقين
لا تدقَّ الباب ، فالحرف ضنين
هارب أنت ، وها أنت سجين
تذرع الصمت ، تنادي الميَّتين
كلهم ماتوا !
سهوب الصيف غصتْ
بقبور الميتين
أه لا تنزع قناع الفارس الميَّتِ
ها أنت مع الشمس وحيداً
في سهوب الآخريين

- ٢ -

الجرح

كلما عُدتَ من المنفى
التقت عينك بالجرح القديم
قبة الليل البهيم
وقناديل الطفولة
والفراشات وأعراس النجوم
وطواحين الهواء
تملاً الليل بكاء

كلما عدتَ رأيتَ الجرح في نفس الرسوم
صيحة الديك ونيران القبيلة.
صوّات وانطفآت فُهَي رماد في الأصيل
ومناديل رحيل
عبر باب المستحيل
كلما عدتَ رأيتَ الجرح في عين الدليل
إنه الجرح القديم
أبدأً تحمله في ليل أوروبا اليهيم
إنه الجرح الذي حطّم قلب السندباد
إنه نفس الرماد
يملأ الكأس التي تشرب منها
آه حدثني عن البحر وعنّها
أيها المنفيُّ حدثني ، ولا تطفئ شموعك
آن أن تنشر في الفجر قلوبك
آن أن تحرق جرحك
آن أن تغرز رمحك
في فم التنين ، في الجرح القديم

- ١ -

الموجة العذراء

الموجة العذراء

تضفر شَعْرَ أختها في وحشة المساء

تتزلق الأسماك في شباكها

تتزلق السماء

تحمل نعش طفلها الشاعر في أرجوحة الضياء

تسحر في غنائها زنايق الشواطئ السوداء

تطفو على جبينها الأعشاب والرمال والأهواء

من ألف ألف وهي في صلاتها الخرساء

مات على أقدامها «عوليس»

مات فارس الصحراء

تكرّ في حياء

تفرّ، لا أحلى

حروف الكتب الصفراء

تكوّرت

تفتحت عن زهرة حمراء

الشاعر الطفل يعود حاملاً قيثارة الأحياء

يفتح عينيه على الرذاذ والبروق والأصداء

الشاعر الطفل يشكّ وردة في الموجة العذراء

النسر فوق « الأناضول »
يسط الجناح للجوزاء

- ٢ -

المغني الجوال

كان قطار الليل في الأمطار
يعبر جسر العالم المنهار
يحمل لي الحروف والتفاح والأزهار
يحمل لي من وطني البعيد
في ضلوعه قيثار
وحفنة من التراب
حفنة ونار .

كان قطار الليل عبر حائط النهار
مُدثراً بالثلج والأسرار
غفوت واستيقظت
كان الفجر من نوافذ القطار
يمد لي جسراً
إلى « استامبول »
يا حبيبي

يمد لي دثار
وجورباً . . إن الشتاء يقحم الأسوار
رحلتنا إلى جبال الملح كانت
آه يا حبيبي
انتحار

الحب في الخريف

الورقة الأخيرة
تسقط في حديقة الأميرة
يا عندليب الموت
يا مخالِب الظهيرة
لا تنبشي المسائل الصغيرة
لا توقظي الأميرة
مُدِّي إلى بثر حياتي المظلم الضفيرة
وللممي الآنية الكسيرة
ودثريني ، فأنا بردان في الظهيرة
فالعين ، يا حبيبتني ، بصيرة
لكنْ يدي قصيرة
وأمنياتي فجأة ضريبة
سفيتني أحرقتها
بحّارتي ماتوا بلا جزيرة
يا هذه القصيدة الشريفة
يا هذه الأسيرة
قصائدي أحرقتها
قصائدي الأثيرة
الحب بعد حبها
وريقتي الأخيرة

جلال الدين الرومي

« اصغِرِ الى الناي يثُنُّ راوياً . . . »

قال جلال الدينُ

الناي في الناي

وفي لواعج المحبِّ

والحزِينُ

الناي يحكي عن طريقِ طافحٍ بالدمِ

يحكي مثلما السنين

« شيرينُ » يا حبيبتي

« شيرين »

دَارَ الزمانُ

احترقتُ فراشتي

تَغَضَّنَ الجبين

وانطفأ المصباح ، لكني مع السارين

مع المحبين ، مع الباكين

أحمل أكفاني

يثُنُّ راوياً

قال جلال الدين :

« مَنْ راح في النوم سلا الماضي »

مع الباكين

« شيرينُ » يا حبيبتي

« شيرينُ »

النهاية

أُعدمتُ في اليونانُ
تفتّحت في الليل وردتان
سال دمي على جبين القمر النعسان
وعاد عاشقان
من رحلة الضياع والأحزان
قلبي مع الأطفال في حدائق الزمان
دقّ ، ودقّت ساعة الميدان
يا إخوتي
رحلتنا تمت
سلاماً !
أيها الربّان
الموجة العذراء عادت ، تذرّع البحر ، وعاد الشاعر الانسان
لوطن الأوطان
« شيرينُ » يا حبيبي
ودقّت الأجراس في مدائن الدخان
أجملُ انسانٍ على الأرض يموتُ
أجملُ الأغان
رحلتنا تمت
سلاماً !
أيها الانسان !

— مرثية أخرى إلى ناظم حكمت —

البطل الاسطورة
يعود من رحلته الأخيرة
متصراً
مُعانقاً مصيره

- ١ -

السحابة العاشقة

يَتِيمَةُ الوطن
كُنْتُ ، وكان طائرُ الشجن
رفيقَ رحلتي إلى الكفن
كان صبايَ
حبي الأخبيرِ
طائري ، إذا ما أظلم الفنن
رفيق رحلاتي إلى الوطن
في وحشة الزمن
كان حياتي ، فأنا من بعده
سحابة تطفو على القنن
تطردها الرياح من منفى
إلى منفى
تشدَّ شعْرَها المحن
مَنْ أيقظ العارقَ في صلاته

مَنْ دَقَّ بابي ؟ مَنْ . .
يا زورق الوسن
خذني إلى « استامبول » إنِّي لم أُمّت
يا زورق الوسن

- ٢ -

الأمير النائم

العالم الكبيرُ
تحت وسادة الجميل النائم الأميرُ
يعجّ بالكثير:
قصيدة ، فراشة ، غدير
علبة حلوى ، دمية ، يعجّ بالكثير
وشأله الأحمرُ والقرنفلات تحرس السرير
وشمعة تضيء حلم ليله الأخير
كقطرة من ذهب ، كقطرة العبير
تخرق ديجور الفراغ
شمعة المصير .
كان ينام ، كانت ابتسامة تمر فوق فمه الصغير
وخذهُ المورد المنير
كالقمر الميت في غياهب الحرير
كان ينام
كانت « استامبول » في خياله
فراشة تطير
حطت على القرنفلات

أيقظت من نومه الأمير

- ٣ -

شتاء في باريس

باريس في الشتاء
تدثرت بالثلج والفراء
فما لقلبي ظل في العراء
يبكي كعصفورٍ على الأرصفة البيضاء
يبكي ، نوافذ البيوت نُورَت
وأقبل المساء
كمثل آلاف الأماسي
بارداً
يبكي . . بلا عزاء
باريس شاخت
وأنا ما زلت طفلاً
حرفتي التجوال والغناء
حانات ليل العالم الطويل
والثلج الذي تغمره الكآبة الخرساء
وذلك الصوت الذي تُرَعِشُهُ
بائعة « الأوركيد » في المساء
يحمل لي رائحة الموت الذي يحوم في الهواء
يدق مسماراً بتابوتك ، يا حبي
ويا بوابة الهناء
لن نعبّر الجسر اليك ، مرة أخرى
ولن نعود في المساء

باريس ماتت
فودعاً أيها الأحياء !

- ٤ -

العودة من المنفى

ولادةٌ أخرى هو الموتُ ، هو الإياب
الرمل والحصى على الشاطئ ، والضباب
زوارقُ الحبِّ

تحطمت

وغاص النورُ في العباب
ريشةٌ نسِرٌ عُرِزت في وردةٍ ، كتاب
ظلَّ طوال الليل مفتوحاً

وظل العنديلُ ساهداً في الغاب
- ناظم عادٌ ! مَنْ يدق الباب ؟

عاد من المنفى مع الطيور والسحاب
كان الصدى يزقو

وكان البحر في انتظاره

يدحرج الأحجار والأخشاب

ناظم عبر الأناضول ، فافتحوا الأبواب

يسقي الدوالي

يغرس الزيتون في الهضاب

وعرق الظهيرة الحمراء في الأهداب

كان جلال الموتِ

كان حفنة التراب

ناظم عادٌ ، فافتحوا الأبواب !

رأيتهم في ليل أسفاري يُقنَّعون العارَ بالعار
أقلامهم للبيع معروضة في أيما حانوت سمسار

كلاب الجحيم

تطاردني في المسير الطويل

وتنبح في العاصفه

أيا قمر الثلج فوق جبال العويل

ويا رحلتي الخائبه

بأيّ الهوى وبأيّ الدروب

تموتين يا نجمتي الشاحبه

إلهُ يرود مراعي السماء

إلهُ تطارده العاصفه

تلفَع بالسحب النازفه

وكان رحيل

وكان عويل

وكان مسير طويل

إلى الجُلجله

فما أطولَ الليلَ ، ما أطوله

رأيت النسور تموت انتظاراً

رأيت الإله على المقصله
رأيت الديوك على المزبله
ديوك الصباح
وصاحت وصاح
غرابٌ ، وكان رحيل
وكان عويل
وكان مسير طويل
هو الليل لا يعرف المستحيل
يدق الطبول
ويرخي على كل أرض سدول
فيا نجمتي الآفله
ويا عطش القافله
وداعاً ! وداعاً !
فَعَبَر البحار يرف شراع
ويرتجّ قاع
وتُفتَح نافذةٌ في الظلام
على طرقٍ مُشمسه
وتمتد أيدي رفاقي جدد
غداً نلتقي !
بعد غد
فقد طال ليل الرحيل
وطال النوى
ومات رفاقي وظلّ الشراع

يجوب البحار
وظلت كلاب الجحيم
تطاردني في المسير الطويل
وتنبح في العاصفه
كفرت بهذا العذاب
كفرت بهذا السراب
بنار القبيله
بهذي الوجوه الذليله
فَمَنْ يَقْتَفُونَ؟
وَمَنْ يَنْبَحُونَ؟
رَأَيْتَهُمْ فِي لَيْلِ أَحْزَانِي .. عَالَمُهُمْ جَنَّةٌ حَيَوَان
أَقْلَامُهُمْ لِلْبَيْعِ مَعْرُوضَةٌ
فِي أَيَّمَا سُوقٍ وَدَكَانِ

١٩٦٣

أغمدوا الرمحَ بصدري
قطعوا آهَ لساني
سملوا عيني
ومروا
تركوني جُثَّةً للضَّبِّعِ العاوي على شاطئِ نهرِ
سرقوا ناري وعشبي
أحرقوا واحه حبي
حرّموا في وطني العالم أشعاري وكتبي
وأقاموا بيننا ألف جدار
آه يا سلَّ الحصار !
جثتي في شاطئِ النهرِ رماد
نبتت من فوقها زهرةُ نار
نُزِعَ الرمحُ وصار
رايةً
نسرًا وطار .
فُتِحَتْ عيني وكَرَّتْ موجةُ تلثمِ صدري
أقبلَ الشاطئِء يجري
طار نسري

عاد لي صوتي ونحيبي
أزهرت واحة حبي
حُطِّمت في وطني الأبواب وانهار الجدار
آه يا حلمي الذي ينخر في قلبي ويا سلَّ الحصار

قلتُ لكم - لكنكم أشحتمُ الوجوه
عالمكم مزيفٌ وحبكم مشبوه
يا أيها الأبواق ، يا بهائماً في السوق
قلت لكم عليكم مسروق
لكنكم نفختمُ في البوق
قلتُ لكم
أحس في الهواء
رائحةَ الطوفان والوباء
لكنكم شهرتمُ السيوف في وجهي
وأسرجتم خيول الصلف العرجاء
نفختمُ أوداجكم
يا أيها الضفادع العمياء
شربتمُ البحار
وانحسر التيار
سرقتمُ كنوزي المخبوءة
لكنكم لم تسمعوا بقية النبوءة
وها أنا في السوق
أضربُ في السياط ، حافي القدمين
عارياً مشنوق

- ١ -

اللعنة الأولى

لَتَحْتَرِقَ نَوَافِذَ الْمَدِينَةِ
وَلتَذْبَلِ الْحُرُوفُ وَالْأَوْرَاقُ
وَلتَأْكُلِ الضَّبَاعُ هَذِي الْجَيْفِ اللَّعِينَةِ
وَليَحْتَضِرَ نَسْرُكُ فَوْقَ جَبَلِ الرَّمَادِ
فَأَنْتَ بَحَارٌ بِلَا سَفِينَةٍ
وَأَنْتَ مَنْفِيٌّ بِلَا مَدِينَةٍ
صَلِيْبُكَ الْغُرَابُ فِي الْمَقَاطِعِ الْحَزِينَةِ
يَنْعَبُ
يَبْنِي عُسَّةً
يَمُوتُ فِي طَاحُونِهِ
يَا صَوْتَ جَيْلٍ مَزَّقَتْ رَايَاتِهِ الْهَزِيمَةَ
يَا عَالِمًا عَاثَ بِهِ التَّجَارُ وَالسَّاسَةَ ، يَا قِصَائِدَ الطَّفُولَةِ الْيَتِيمَةِ
لَتَحْتَرِقَ نَوَافِذَ الْمَدِينَةِ
وَلتَأْكُلِ الضَّبَاعُ هَذِي الْجَيْفِ اللَّعِينَةِ
وَلتَحْكُمِ الضَّفَادِعُ الْعَمِيَاءَ
وَلتَسُدِّ الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءَ
وَمَا سَحَوْا أَحَدِيَّةَ الْخَلِيفَةِ السُّكْرَانَ
وَالْعَوْرُ وَالْخَصِيَّانَ

- ٢ -

سفينة الضباب ، يا طفولتي
تطفو على بحرٍ من الدموع
تشيخ في مرفأها
تجوع
تزني على رصيفهم
تستعطف الخليفة الأبله
تستجدي
تهز بطنها ، ترقص فوق لهب الشموع
سفيتي شائخة القلوع
لكنها والبحر في انتظارها
تهمُّ بالرجوع

- ٣ -

الصوت الثاني

الرُخُّ مات .
بيضةً تعفنت في طبق الخليفة
الرخ صار جيفة
في طبقٍ من ذهبٍ . . . يارَبْدُ البحار
ويا خيول النار
توثبي واقتحمي الأسوار
ومزقي الشاعر والدينار
ولياكل الخليفة الأوراق والغبار

ولتسلم الأشعار

- ٤ -

الصوت الثالث

كافورٌ كان سيدَ الخليقة
والشمسَ والحقيقة

- ٥ -

الصوت الأول

السيف كان ريشتي
ورايةَ الفجيعه
هممت أن أكسره
هممت أن أبيعه
أرانبُ هم الملوكُ ، حجرُ السقوطِ
رؤيا عصرنا الشنيعه

- ٦ -

الصوت الرابع

أنا شججتُ جبهةَ الشاعر بالدواه
بصقت في عيونه
سرقنت منها النور والحياه
أغمدت في أشعاره سيفي
وأفسدتُ مريديه ، وضللت به الرواه
جعلته سخريةَ البلاط والفرسان والأشباه

الصوت الثاني

الشاعر الغارق في الأحزان والأغلال
يعود من غربته ممزقاً جريح
ماذا تقول الريح ؟
للشاعر الشريد
في وطن العبيد
والساسة اللصوص والتجار والأنذال
يمرغون القمر الأخضر في الأوحال
ويسفحون المال
تحت نعال جارية
ترقص وهي عارية
وحولهم مهرج الخليفة
يمعن في نكاته السخيفة

المرثية

تمزقي يا راية الحب فأنت الشاهد الوحيد
عشرون سيفاً ، آه يا عراقنا ، أغمد في قيثاره
في قلبه الطريد
ضفادع من كل فجٍ أقبلت تؤبّن الفقيد
ضفادع تشرب خمراً
تأكل الثريد
تقيء شعراً

إنه الطوفان ، يا قصائد الشهيد
تطائري ومرّغي عمائم العبيد
وجبهة الخليفة العريد
في وحل الشارع ، في قمامة الصديد

- ٩ -

اللعة الثانية

أرى بعين الغيب يا حضارة السقوط والضباع
حوافر الخيول والضباع
تأكل هذي الجيف اللعينة
تكتسح المدينة
تبيد نسل العار والهزيمة
وصانعي الجريمة .
أرى على قبابك الغربان
تحجب وجه الشمس بالنعيب ، يا جارية السلطان
أرى الخفافيش على نوافذ البيوت والحيطان
والنمل والفئران
تعبث في خزائن الخليفة السكران
تمرح في سريره البارد ، فوق جفنه النعسان
تقرض شَعْرَ لَحْيَةِ المَهْرَجِ السَّامان
تنام في عمائم العبيد والخصيان .
أرى على أبوابك الطوفان
يكتسح الساسة والتجار
أرى خيول النار

تدمر الأبراج والأسوار

- ١٠ -

الشاعر بعد ألف سنة

عيونهُ الطينيةُ السوداءُ

تسبر غور الجرح في السماء .

حصانه يصهل في المساء

على تخوم المدن الغبراء

يرود نبع الماء .

حصانه عبر المراعي الخضراء والتلال

يوقظ في حافره النجوم والأطفال

يوقظ في ذاكرة السنين

اللهب الأسود والحبّ الذي يموت في ظل السيوف

عاصفاً مدمراً حزين

عشرون جرحاً

فتحت في صدره فاهاً ، وصاحت

أشعلت في دمها النجوم

وهو على أسوار بغداد وفي أسواقها يحوم

١٩٦٣

أمرَ الملكَ البكَّاءَ
أن يُحْفَرَ في إبرة
بثر في الصحراء
أن تُضْرَبَ أعناق الكلمات
أن يطفأ ضوء النجمات
لكن الثوار
في صنعاء
حفروا للملك البكَّاء
قبراً في الصحراء
هزموا الأقزام العور
أعداء النور
نصبوا خيمات
في صيف الواحات
ملّوا مثواهم
عبروا حائط مبكاهم
قتلوا الليل الجاثم
في صمت الكلمات
رفعوا الرايات
فوق حقول النار

صنعاء الثورة
حفرت للملك البكاء
قبراً في الصحراء

«وعندما تُغش باقات الزهور ، عندما الذبول قبل الأوان
يعتري زنايق الحنور . أحس بالتعاسة»

م حداد

- ١ -

أحس بالهوان
بالمسرح الخاوي وبالقيائر المحطمة
تنن بالممثل القتيل
بالرائع النبيل
تدوسه الثعالب .
أحس بالكواكب
خجلى على طريقها تعشش العناكب .
أحس بالانسان
دباً يُحسّى رأسه بالقش والدخان
يباع بالمجان
يحب بالمجان
يكره بالمجان
يقتل بالمجان
يموت بالمجان
أحسه استحال خرقةً على طاولةٍ في حان

يُسمح فيه أيما شيء . . أحسن أه بالانسان
يركع في مزبلة التاريخ ، في قاذورة النسيان

- ٢ -

الثورة العملاقة
الفكرة الخلاقة
تجرف في طريقها المسوخ والطبول
والجيف المعطرة
والنُصب الشائثة السبعثرة .
تحرث في إعصارها الحقول
تعيد صُنع الرائع النبيل
تمنح للممثل القليل
دماً جديداً ، مسرحاً جديداً
تنفخ في قصائد الجليل
حرارة الخلق ، تعيد خَلْقَهَا ، تُعيد . . .
تنزع عن انساننا القناع
تنزع رأس الدب عنه ، تغمر الأعماق بالشعاع
تكسوه بالريش وبالأزهار
تمنحه أجنحة من نار
الفكرة الإعصار .

- ٣ -

لريشتي الشريفة
لغربتي ، للثلج في المنفى ، لهذي النجمة الوحيدة

لشاعر يجوع في الربيع ، لليمامة الطريدة
لثورتي المسروقة الشهيدة
لكادح في وطني يموت في زنزانية بعيدة
لهذه القصيدة
أقسمتُ يا جزائري الجديدة
أن أعبر المخاض
أن أنهضَ الليلة فوق الدم والأنقاض
أن أجمع النجوم والمحارُ
إليكِ من شواطئ البحار
أقسمت للانسان
للأمل الجديد في وهران
لأحرف القصيدة
أقسمت يا جزائري الجديدة
أن أحمل الصليبُ
أن أطأ اللهب

فهرس المجلد الأول

ملائكة وشياطين

٤٥	أسطورة عبقر	١٠	في مقابر الربيع
٤٧	غيوم الربيع	١٢	أغنية زورق
٤٩	حانة الشيطان	١٤	بقايا لهيب
٥٥	إليها	١٦	أكاد أموت
٦٠	العطر الأحمر	١٨	الأخيلة الملوثة
٦٢	أغنية	٢٠	ما أبعد الماضي
٦٤	عينك	٢٢	حلم في كوخ
٦٦	وكيف أطيّر	٢٥	برعم
٦٧	حلم	٢٧	عزلة
٧٠	من تراها	٢٩	التمثال المشوه
٧١	ضجر	٣٠	غرام قديم
٧٣	بغداد	٣٤	وكر شيطان
٧٦	إلى ساهرة	٣٦	لقاء
٧٩	أنا يا رماد	٣٩	من أحزان الليل
٨٠	الدانوب الأزرق	٤١	وراء السراب
٨٣	قولي له	٤٣	عيونك الخضسر

٩٦	ظمان	٨٥	أنشودة منتحر
٩٧	من أغاني المهدي	٨٩	أغنية النار
٩٨	مصرع بلبل	٩٠	أحبك
١٠١	يا إلهي	٩١	العبير المستعور
١٠٢	المخطوبة	٩٣	ألهو بحزني
١٠٦	أحلام شاعر	٩٤	نم بقلبي
١١٠	نهاية		

أباريق مهشمة

١٤١	انتظار	١١٣	أباريق مهشمة
١٤٣	الأسير	١١٥	المحرقة
١٤٥	طريق الحرية	١١٧	الملجأ العشرون
١٤٧	الذئب	١١٩	صخرة الأموات
١٤٩	عشاق في المنفى	١٢٠	مسافر بلا حقائب
١٥٢	السجين المجهول	١٢٣	بعد الربيع
١٥٤	القرية الملعونة	١٢٥	فيت مين
١٥٦	وحشة	١٢٧	سارق النار
١٥٧	ذكريات الطفولة	١٢٩	ريح الجنوب
١٦٠	المماليك	١٣٢	أمطار
١٦٢	الرحيل الأول	١٣٤	سوق القرية
١٦٤	موعد مع الربيع	١٣٦	الأوغاد
١٦٦	طيفها	١٣٨	القرصان

١٧٨	ماوماو	١٦٨	الآفاق
١٨٠	في المنفى	١٧٠	الظلال الهائمة
١٨٢	العائدون	١٧١	تمت اللعبة
١٨٤	الحريم	١٧٢	لا أقولها
١٨٦	مذكرات رجل مجهول	١٧٤	الحديقة المهجورة
		١٧٦	القنديل الأخضر

المجد للأطفال والزيتون

٢٠٦	خيانة	١٩١	أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر
	إلى غابرييل بييري وعمال مارسيليا	١٩٣	قصائد الى يافا
٢٠٧	الصغار	١٩٣	١ - أغنية
٢٠٩	رسالة حب إلى زوجتي	١٩٤	٢ - أسلاك شائكة
٢١١	رفاق الشمس	١٩٥	٣ - رسالة
٢١٣	العائدون من المذبحة مذكرات رجل مسلول	١٩٦	٤ - المجد للأطفال والزيتون
٢١٥	١ - الشعر والموت	١٩٧	٥ - العودة
	٢ - سونيا والأسطورة	١٩٨	الأصدقاء الأربعة
٢١٦	٣ - صانع العاهات	١٩٩	الأمير السعيد
٢١٧	٤ - أمل	٢٠١	مدينتي والفجر
٢١٨	٥ - سبارتاكوس	٢٠٢	إلى اخواني الشعراء
٢١٩		٢٠٣	أغنية إلى شعبي
		٢٠٤	ربيعنا لن يموت

	٢٢٠	٦- الرحيل
٢٢٢	٢٢١	الأرض الطيبة
	٢٢٣	أغنية إلى ولدي علي
٢٣٤	٢٢٥	عندما يحب الفقراء
		أغنية خضراء إلى
٢٣٦	٢٢٦	سوريا
٢٣٨	٢٢٨	قطار الشمال
٢٣٩	٢٣٠	البريد العائد
٢٤١		الموت في الخريف

أشعار في المنفى

	٢٤٥	أحزان البنفسج
٢٦٣	٢٤٧	الموت في الظهيرة
٢٦٥	٢٤٩	الربيع والأطفال
٢٦٧	٢٥١	موعد في المعرفة
٢٦٩	٢٥٣	أبي في طريق الشمس
٢٧٠	٢٥٤	موال بغدادي
٢٧١	٢٥٦	طريق العودة
٢٧٣		أغنية جديدة إلى ولدي
٢٧٦	٢٥٧	علي
٢٧٨	٢٥٩	صلاة لمن لا يعود
٢٨٠	٢٦١	بطاقة بريد إلى دمشق
٢٨٢		غياب إلى هند

يوميات سياسي محترف

٢٩٨	المخبر	٢٨٧	الناجون في العاصفة
	البيغاوات التي تقول	٢٨٩	الليل والمدينة والسل
٣٠٠	نعم		يوميات سياسي
٣٠٢	صليب الألم	٢٩٠	محترف
٣٠٤	الباب المضاء		صورة تقريبية
	إلى ماوتسي تونغ		لبورجوازي صغير
٣٠٧	الشاعر	٢٩٥	يقرض الشعر

عشرون قصيدة من برلين

٣٢٥	إلى مس بيجمام	٣١١	الى القتل رقم ٨
٣٢٦	إلى ذكرى ديمتروف	٣١٣	سبع سنابل
٣٢٧	ميدان ماركس - انجلز	٣١٥	سلاماً أثينا
٣٢٨	العاصفة	٣١٦	برلين في الفجر
٣٢٩	أغنية إلى غوتيه وشيلر	٣١٧	إلى هانسن كروتسبرغ
٣٣٠	إلى أنا سيكرز		إلى أمهات جنود المانيا
٣٣١	إلى البروفسور يوتكر	٣١٨	الديمقراطية
٣٣٢	إلى صديقي تيفلت	٣١٩	إلى العامل بيتر بابرز
٣٣٣	إلى إيرين أوينهاو	٣٢١	الشعر يتحدّى
٣٣٤	العودة	٣٢٢	إلى انكريد فايس
			إلى مؤتمّر السلام في
		٣٢٤	برلين

كلمات لا تموت

٣٦٢	إلى مكسيم غوركي	٣٣٧	فارس الحزن
٣٦٤	كلمات لا تموت	٣٣٩	١٢ قصيدة الى العراق
٣٦٦	١٤ تموز	٣٣٩	١ - هدية
	الأميرة التي كانت تحب		٢ - الحسروف
٣٦٨	مغنيها	٣٤٠	الخضر
٣٦٩	الطفل والحمامة	٣٤١	٣ - شعري
٣٧٢	قصائد من فيينا	٣٤٢	٤ - الفن للحياة
	١ - النحلة	٣٤٣	٥ - الشعر والثورة
٣٧٢	العاشقة	٣٤٤	٦ - حتى الموت
٣٧٣	٢ - الموت والزمان	٣٤٥	٧ - لو قلتها
٣٧٤	٢ - الجدار	٣٤٦	٨ - انتظار
	٤ - وداعاً		٩ - أغنية إلى
٣٧٥	استامبول	٣٤٧	بغداد
٣٧٦	٥ - الطريد		١٠ - ٢٧ كانون
٣٧٧	٦ - أمطار	٣٤٨	الثاني
٣٧٨	٧ - عيد ميلاد	٣٤٩	١١ - قيس
٣٧٩	٨ - عزاء	٣٥٠	١٢ - عناق
٣٨٠	٩ - الوحدة	٣٥١	أقوال
	١٠ - تذكارات من	٣٥٤	القتلة
٣٨١	بغداد	٣٥٧	إلى ت.س. البيوت
	١١ - سماء بلا		المسيح الذي أعيد
٣٨٢	نجوم	٣٥٩	صلبه

٣٩٥	أحبها	١٢ - حضارة
٣٩٦	عندما لا تمطر السماء	٢٨٣ الغرب
٣٩٧	إلى امرأة لا إسم لها	١٣ - أوروبا
٣٩٩	هيهات	٢٨٤ العجوز
	إلى قـلاديمير	٢٨٥ ١٤ - صديقة
٤٠١	ماياكوفسكي	١٥ - إلسي
٤٠٣	موسكو في الشتاء	٢٨٦ شتراوس
٤٠٥	أغنية المحكوم بالحب	٢٨٧ حب قديم
٤٠٦	ثلاث رباعيات	٢٨٩ أبو زيد السروجي
٤٠٧	السيف والقيثار	٢٩١ الثعبان
		٢٩٣ مقبرة الغزاة

النار والكلمات

٤٢٧	أنا وأنت أبدأ	اعتذار عن خطبة
٤٢٨	الأعداء	٤١١ قصيدة
٤٣٠	لماذا نحن في المنفى؟	٤١٣ الحرف العائد
٤٣٢	هاملت	٤١٧ إلى أرنست همنجواي
٤٣٤	إلى جواد سليم	٤١٧ ١ - في أسبانيا
٤٣٧	النار والكلمات	٤١٨ ٢ - حافة الموت
٤٣٩	إلى لويس أراغون	٤١٨ ٣ - النهاية
٤٤٠	الموت في المنفى	٤٢٠ الغراب
٤٤٣	إلى البير كامو	٤٢٢ أمثال
٤٤٥	المغني والقمر	٤٢٤ العرب اللاجئون

٤٦٧	٢ - المغني الجوال
	٣ - الحب في
٤٦٨	الخريف
	٤ - جلال الدين
٤٦٩	الرومي
٤٧٠	٥ - النهاية
	مرثية أخرى إلى ناظم
٤٧١	حكمت
	١ - السحابة
٤٧١	العاشقة
٤٧٢	٢ - الأمير النائم
	٣ - شتاء في
٤٧٣	باريس
	٤ - العودة من
٤٧٤	المنفى
٤٧٥	الميلاد الجديد
٤٧٨	الحصار
٤٨٠	النبوءة
٤٨١	موت المتنبي
٤٨٧	إلى ثوار اليمن
٤٨٩	إلى مالك حداد

٤٤٦	تمت اللعبة
٤٥٠	الفجر يذيب المسوخ
٤٥٢	إلى بابلو بيكاسو
٤٥٤	الفارس فوق المدخنة
	مقاطع من السمفونية
٤٥٥	الخامسة لبروكوفيف
٤٥٨	إلى عبد الله كوران
٤٥٩	إلى شاعر عدو
٤٦٠	قصيدتان إلى نادية
	١ - مصباح علاء
٤٦٠	الدين
٤٦١	٢ - الأب الشاعر
٤٦٢	الصحف الصفراء
	قصيدتان إلى صلاح
٤٦٣	جاهين
	١ - الصيف
٤٦٣	الأخير
٤٦٤	٢ - الجرح
٤٦٦	مرثية إلى ناظم حكمت
٤٦٦	١ - الموجة العذراء

عبد الوهَّاب البياتي

الأعمال الشعرية



المؤسسة
العربية
للدراسات
والتفسير
بيروت، مكتبة الخليلي، طبعة
سبع الكارثون، ص.ب. ٥٤٠-١١
العنوان البرقي: بوكاتب، ٨٢٩٠٠/١
LE/DIRKAY، ت.٤٠٦٧

تفلاف: زمهرير شاب


للثقافة والمدون
عاليوي الغينية

 Библиотека Александрина



1099644